أقسام ضائعة من كتاب

تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء

تأليف

هلال الصابىء

المتوفى سنة ٤٤٨هـ (١٠٥٦م)

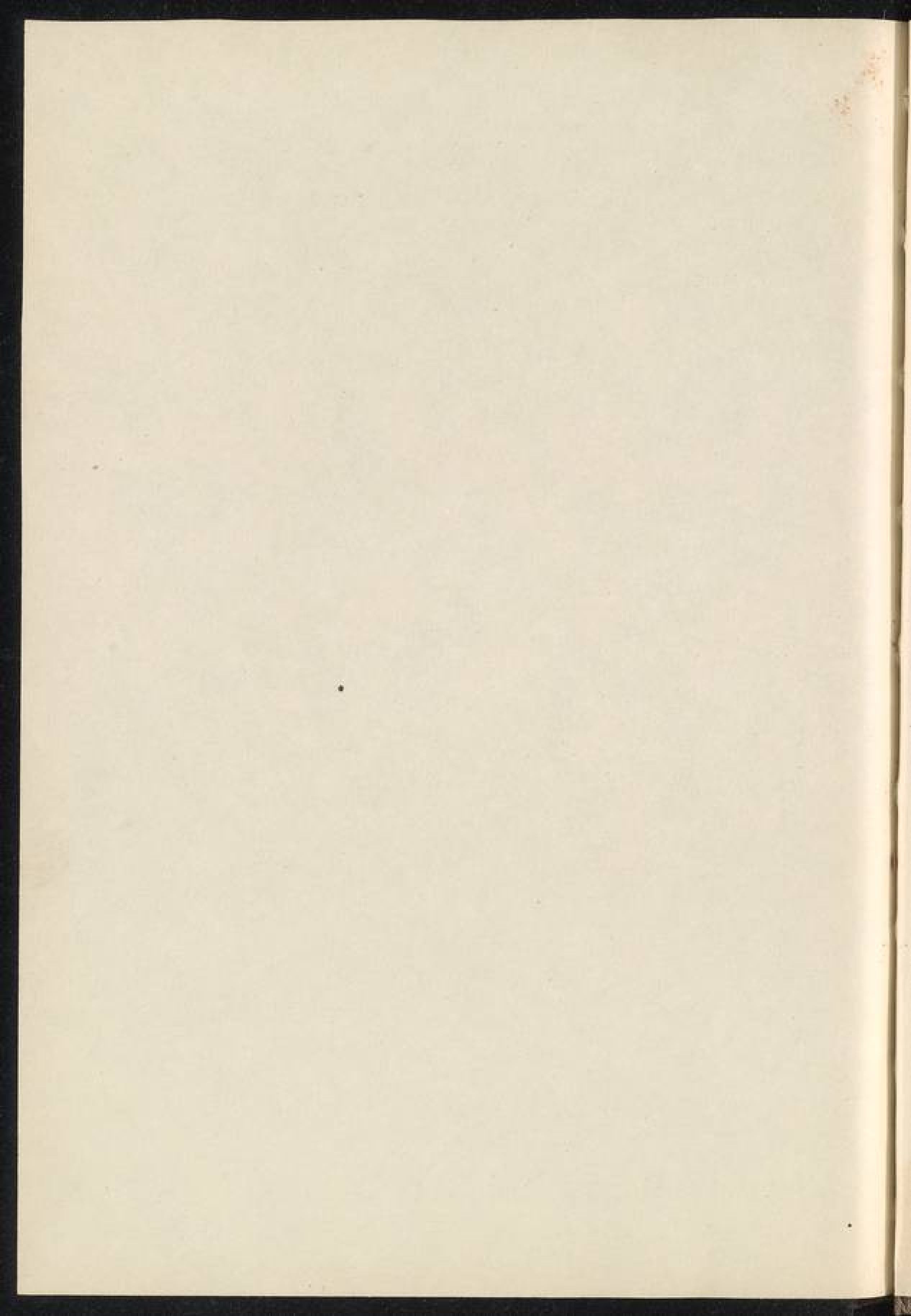
جمعها وعلق عليها

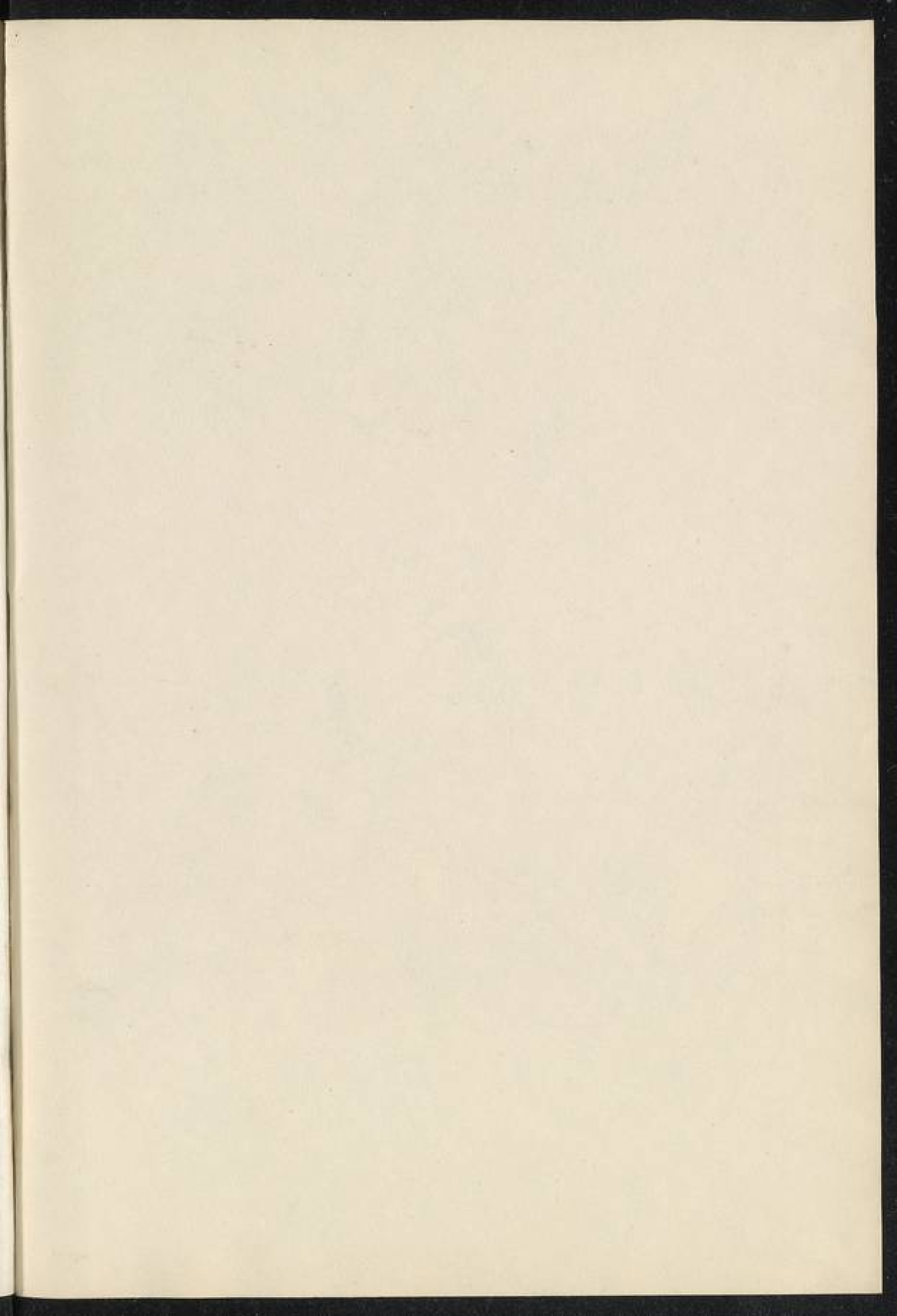
ميخائيل عواد

مطبعة المعارف - بغداد

١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م

ثمنه : ٢٠٠ فلس





أقسام ضائعة من كتاب :

تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء

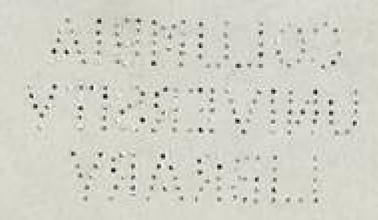
تأليف

هلال الصابيء

(٣٥٩ — ٤٤٨هـ = ٩٦٩ — ١٠٥٦ م)

جمعها وعلق عليها

ميخائيل عوّاد



مطبعة المعارف — بغداد

١٣٦٧هـ — ١٩٤٨ م

تمهيد

في النصف الأول من المائة الخامسة للهجرة ، لمعت شخصية فذة في عالمي التاريخ والأدب ، نعني بها هلال بن المحسن الصابىء (٣٥٩ ـ ٤٤٨ هـ) .

صنّف هلال طائفة حسنة من الكتب في موضوعات متنوعة ، وكان كتابه « تاريخ الوزراء » في طليعة مصنفاته، وقد ذكر أن كتابه هذا ضم جملة كبيرة من أعيان الوزراء وأماثل الكتّاب ـ الذين جروا مجرى الوزراء ـ أولئك الذين وزروا للخلفاء بني العباس ، وأمراء بني بويه ، في العراق وفارس والري ، ومواطن أخرى من ديار الاسلام .

ثم ضرب الدهر من ضربانه ، وتقلبت الأحوال في العراق ، وجرى من الأمور العظام والحوادث الجسام الشيء الكثير ، حتى كادت هاتيك الكوارث تودي بحياة العلم ، فتتابعت النكبات والمحن على خزائن الكتب ، ولم يسلم منها إلا النزر اليسير .

من ذلك « تاريخ الوزراء » لهلال ، فقد ذهب أغلبه مع تلك الجماعة الصالحة من ذخائر الأقدمين .

وفي بعض السنوات المتأخرة ، عُلم أن قطعة صغيرة من ذلك الأثر النفيس ، سلمت من عبث الدهر ، واستقرت في خزانة « غوطا » احدى مواطن العلم من ديار الغرب .

وفي عام ١٩٠٤ عُني المستشرق الشهير (آمدروز) بتحقيقها ونشرها ، فطبعها في بيروت . وهي تضم تراجم أربعة وزراء لا غير ، هم :

علي بن الفرات ، ومحمد بن عبيد الله بن خاقان ، وعلي بن عيسى، وحامد بن العباس .

* * *

كنا أثناء المطالعة في المصنفات العربية القديمة ، نقف عند أخبار مستقاة من « تاريخ الوزراء » لهلال ، وهذه الأخبار لا وجود لها في القسم المطبوع من هذا الكتاب ، وهي تعود الى وزراء ذكر أسماءهم هلال في مقدمة كتابه ، وقال انه ترجم لهم ، وأسهب في صفاتهم وملح أخبارهم . فعمدنا الى استخراج كل خبر من هذا القبيل ، حتى اجتمع لدينا نحو من ثلاثة وثلاثين خبراً ، ترجع الى أحد عشر وزيراً ، عُنينا بتحقيقها ، وشرح ما يستوجب شرحه من الأعلام ، والأمور التاريخية والبلدانية واللغوية ، وتفسير الألفاظ الدخيلة ، والمصطلحات وما الى ذلك . ثم حاولنا إرجاع كل خبر الى صاحبه من الوزراء .

وكل خبر يبدأ بكلام طُبع بحرف دقيق محصور بين قويسين صغيرين « » ، يدل على أن ذلك الكلام من وضع الكاتب الناقل للخبر .

أما الكلمات المحصورة بين مربعين [ ] ، فهي من وضعنا ، وقد رأينا اضافتها ليستقيم الكلام بها ، ولعلمنا أن الخبر المنقول إنما هو من « تاريخ الوزراء » .

وقد صدّرنا ذلك بفصل مسهب فيه ، ضم ترجمة هلال ، وعصره ، وأبناء بيته ، ومؤلفاته ، وفصل آخر في كتابه « تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء » .

(بغداد) ميخائيل عواد

الفصل الأول

هلال بن المحسن الصابىء

استوطن بغداد في صدر الدولة العباسية ، فئة من الصابئة[1] ، نزحت اليها من حرّان والرقة المشتهرتين قديماً بمنازل الصابئة ، تلك الفئة هي «آل زهرون» وأنسباؤهم « آل قُرّة[2] » .

أصابت هذه الجماعة الصابئية في بغداد حظاً وافراً من العلم والأدب والطب ، فهرت في كلياتها وجزئياتها ، ودفعتها فطنتها وتوقد ذكائها الى تقلد جلائل الأعمال بخدمة خلفاء بني العباس وأمرائهم ووزرائهم ، فسار ذكرها في الآفاق، وكان عليها المعاد لطائفة من الأعمال التي قامت بها خير قيام .

ومما زاد في علو شأن هذه الأسرة ، أن جماعة من أفرادها خلفوا مؤلفات جليلة القدر عظيمة النفع تبحث في الأدب والتاريخ والطب والفلك وغير ذلك .

وسيكون مدار كلامنا على أحد أعلام هذه الأسرة ، نعني به : هلال بن المحسن الصابىء .

---

(١) هذه هي الصابئة الحرانية . وهناك الصابئة البطائحية التي سكنت البطائح جنوبي العراق .

(٢) في الفهرست لابن النديم (ص ٢٧٢ ، طبعة فلوجل . ليبسك ١٨٧١) ، واخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي (ص ١١٥ ، طبعة ليبرت . ليبسك ١٩٠٣) ، وطبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (١ : ٢١٥ ـ ٢١٦ ، طبعة ملر . مصر سنة ١٨٨٢) ، في ترجمة أبي الحسن ثابت بن قرة الحراني ، قولهم : « . . . وكان ثابت بن قرة صيرفياً بحران ، ثم استصحبه محمد بن موسى لما انصرف من بلد الروم، لأنه رآه فصيحاً ، ... وهو أصل ما تجدد للصابئة من الرئاسة في مدينة السلام وبحضرة الخلفاء ، ... وكذلك جاء جماعة كثيرة من ذريته ومن أهله يقاربونه فيما كان عليه من حسن التخرج والتمهر في العلوم ... » .

ا ـ مولده ونشأته :

هو أبو الحسين ـ وقيل أبو الحسن ـ هلال بن المحسّن[١] بن أبي اسحاق ابراهيم بن هلال بن ابراهيم بن زهرون بن حيون[٢] الصابىء الحراني . كان مولده ببغداد في شوال[٣] وقيل في شعبان[٤] سنة تسع وخمسين وثلثمائة للهجرة (آب سنة ٩٦٩ للميلاد) ، ونشأ بها . وكان أبوه المحسن صابئياً ، وأمه أخت أبي الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قُرّة الطبائعي المؤرخ الشهير .

ب ـ اسلامه :

أسلم هلال في أواسط عمره ، أعني في حدود سنة ٤٠٣ هـ (١٠١٢ م) ، وحسن إسلامه .

يُعدّ هلال أوّل من أسلم من بني زهرون . وقصة إسلامه نقلها سبط ابن الجوزي عن تاريخ غرس النعمة محمد بن هلال الصابىء ، بهذه الصورة : « قال هلال : رأيتُ في المنام سنة تسع وتسعين وثلثمائة ، رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد وافى إلى موضع مقامي ، والزمان شتاء ، والبرد شديد ، والماء جامد . فأقامني فأُرعدتُ حين رأيته . فقال : لا ترع ، فأني رسول الله ، وحملني إلى بالوعة في الدار عليها دورق خزف وفيه ماء توضّي ، فتوضّأتُ وضوء الصلاة ، وكان الماء في الدورق جامداً ، فكسرته ، ثم قام فصلى بي وجذبني إلى جانبه وقرأ (إذا جاء نصر الله والفتح) ، وركع وسجد وأنا أفعل مثل فعله . وقام ثانياً وقرأ

---

(١) المحسّن : بضم الميم وفتح الحاء وكسر السين مع التشديد .

(٢) حيون : كقيوم ، ورد بالياء المثناة في أكثر المراجع القديمة ، وذكره ابن خلكان تارة (وفيات الأعيان ١ : ١٨ ، طبعة بولاق ١٢٧٥ هـ) بصورة «حبون» بالباء الموحدة ، وتارة (٢ : ٢٩٩) بالياء .

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٤ : ٧٦) .

(٤) مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (مخطوط في خزانة باريس برقم ١٥٠٦ عربي ، الورقة ١١) . (عن الدكتور مصطفى جواد) .

(الحمد لله) وسورة لم أعرفها، ثم سلم وأقبل عليّ، وقال : أنت رجل عاقل مُحصّل، والله يريد بك خيراً ، فلم تدعُ الاسلام الذي قامت عليه الدلائل والبراهين ، وتقيم على ما انت عليه ؟ هات يدك ، فصافحني ، فأعطيته يدي ، فقال : (قُل أسلمت لله وجهي وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الصمد الذي لم يكن له صاحبة ولا وَلد ، وانك يا محمد رسول الله الى عباده بالبينات والهدى) ، فقلتُ ذلك ، ونهض ونهضت معه فرأيت نفسي قائماً على الصِفة ، فصحتُ صيحة الانزعاج والارتياع ، فانتبه أهلي وسمع أبي ، فقال: ما لكم ؟ فصحت به ، فجاءوا وأوقدوا المصباح وقصصتُ عليهم قصتي فوجموا إلا أبي فانه تبسم ، وقال : ارجع إلى فراشك فالحديث يكون عند الصباح . وتأملنا الدورق فاذا الجمدُ الذي فيه متشعث بالكسر ، وتقدم والدي إلى الجماعة بكتمان ما جرى ، وقال : يا بني ، هذا منام صحيح وبشرى محمودة ؛ إلا ان إظهار هذا الأمر فجأةً والانتقال من شريعة إلى شريعة يحتاج إلى مقدمة وأهبة ، ولكن اعتقد ما وُصّيت به ، فاني معتقد مثله وتصرّف في دعائك وصلاتك على أحكامه . ثم شاع الحديث ومضت مدة ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم ، ثانيةً على دجلة على مشرعة باب البستان[1] ، وقد تقدمت اليه وقبلت يده ، فقال : ما فعلتَ شيئاً مما وافقتني عليه وقررته معي ؟ قلتُ : بلى يا رسول الله ، ألم أعتقد ما أمرتني به ، وتصرفت في صلاتي ودعائي على موجبه . فقال : لا ، وأظن انه بقيتْ في نفسك شبهة ، تعال . وحملني إلى باب المسجد الذي في المشرعة ، وعليه رجل خراساني نائم على قفاه وجوفه كالغرارة المحشوة من الاستسقاء ، ويداه وقدماه منتفختان . فأمرّ يده على بطنه وقرأ عليه ، فقام الرجل صحيحاً مُعافى . فقلتُ : صلى الله عليك يا رسول الله ، وانتبهت . — ثم رأيته في سنة ثلاث وأربعمائة في بعض الليالي راكباً ، على باب خيمة أنا فيها ، فوقف وانحنى على سرجه حتى أراني وجهه ،

---

(١) باب البستان : راجع « الذيل الأول ».

فقمتُ وقبّلتُ ركابه ونزل ، فطرحتُ له مخدة، فجلس وقال : يا هذا كم آمرك بما فيه الخير لك وأنت تتوقف عنه؟ فقلتُ : يا مولانا ما أنا متصرف عليه؟ قال: بلى ، ولكن لا يغني الباطن الجميل مع الظاهر القبيح ، وإن كنت تراعي أمراً فراعاتك الله أولى ، قم الآن وافعل ما يجب ولا تخالف . قلت : السمع والطاعة . وانتبهت فدخلت الحمام وجئت المشهد[1] وصليت وزال الشك عني . فبعث إليّ فخر الملك [محمد بن عليّ بن خلف] ، فقال : ما الذي بلغني عنك ؟ فقلتُ : هذا أمر كنت أعتقده وأكتمه ، حتى رأيت البارحة كذا وكذا . فقال : قد كان أصحابنا يحدثونني انك تصلي صلاتنا وتدعو دعاءنا . وحمل إليّ دست ثياب ومائتي دينار . فرددتها وقلت : ما أحب أن أخلط بفعلي شيئاً من الدنيا. فاستحسن ذلك مني، وعزمت أن أكتب مصحفاً ، فرأى بعض الشهود رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في المنام وهو يقول له : تقول لهذا المسلم القادم ، نويتَ أن تكتب مصحفاً فاكتبه فبه يتمّ اسلامك . قال: وحدثتني امرأة تزوجتها بعد إسلامي، قالت : لمـا اتصلتُ بك قيل لي انك على دينك الأول ، فعزمت على فراقك ، فرأيت في المنام رجلاً ، قيل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه جماعة قيل هم الصحابة ، ورجل معه سيفان قيل انه عليّ بن أبي طالب ، وكأنك قـد دخلت ، فنزع عليّ أحد السيفين فقلدك إياه ، وقال : هاهنا هاهنا . وصافحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرفع أمير المؤمنين رأسه إليّ وأنا مطلعة من الغرفة . فقال : ما ترين إلى هذا ؟ هو أكرم عند الله وعند رسوله منك ومن كثير من غيره . وما جئناكِ إلا لنعرّفكِ موضعه ونعلمكِ إننا زوجناكِ به تزويجاً صحيحاً ، فقرّي عيناً وطيبي نفساً فما ترين إلا خيراً . قالت : فانتبهت وقد زال عني كل شك وشبهة . قال أبو عليّ بن نبهان في إثر هذا الحديث عن جده لأمه أبي الحسن الكاتب ، ان النبي صلى الله عليه وسلم ، قال له في المرة

---

(١) يريد به مشهد الامام موسى بن جعفر الكاظم .

الثالثة[١] : وتحقيق رؤياك اياي أن زوجتك حامل بغلام ، فاذا وضعته فسمه محمداً ، فكان ذلك كما قال، وانه وُلد له وَلَد فسماه محمداً وكنّاه أبا الحسن »[٢].

ج ـ هلال في دار الخلافة :

تغلغل هلال في دار الخلافة العباسية ببغداد،فتولى ديوان الانشاء[٣] زمناً، وعرف نواحي الدار ، ووقف على رسومها وأسرارها ، فحذق بآداب الملوك والخلفاء ومجالستهم ، حتى فاق جده ابراهيم ، ذاك الذي حنق التسعين في خدمتهم . وصنّف هلال بهذا الشأن كتابه الفريد الموسوم بـ « رسوم دار الخلافة » ، ذكر فيه آداب الخدمة ، وقوانين الحجابة ورسومها ، وأدب مسايرة الخلفاء في مواكبهم ، وجلوس الخلفاء وما يلبسونه في المواكب ، وخلع التقليد والتشريف والمنادمة ، ورسوم المكاتبات ، والألقاب ، وغير ذلك من طرائف الموضوعات .

أما ديوان الانشاء ، فكان لا يتولاه إلا أجلّ كتّاب البلاغة ، ويخاطب صاحبه بالاستاذ الرئيس[٤] ، ويسلم المكاتبات الواردة مختومةً فيعرضها على الخليفة ، وهو الذي يأمر بتنزيلها والاجابة عنها للكتّاب ، والخليفة يستشيره في أكثر أموره ، ولا يحجب عنه متى قصد المثول بين يديه ، وهذا أمر لا يصل اليه غيره ، وربما بات عند الخليفة ليالي ، وله حاجب وفرّاشون، وله المرتبة الهائلة والمخادّ والمسند والدواة[٥].

---

(١) وفي رواية أخرى « الثانية » .

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (٨ : ١٧٧-١٧٩ ، طبع حيدر آباد)، ومرآة الزمان (المخطوط المذكور سابقاً) .

(٣) أنظر تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ، لهلال الصابىء (ص ١٥١ — ١٥٢ ، طبعة آمدروز . بيروت ١٩٠٤) .

(٤) معجم الأدباء (= ارشاد الأريب) لياقوت الحموي (٥ : ١٥٢ ، طبعة مرجليوث. القاهرة ١٩٢٨) .

(٥) خطط المقريزي (= المواعظ والاعتبار ٢ : ٢٤٤ ، مطبعة النيل . القاهرة ١٣٢٤ هـ) ، وراجع قانون ديوان الرسائل لابن الصيرفي (ص ٩٤ — ١١٧ ، بتحقيق علي بهجة . القاهرة ١٩٠٥) .

د ـ هلال المؤرخ :

اشتهر هلال بتاريخه ، كما اشتهر جده ابراهيم برسائله . وقد أدرجه القفطي في عداد من اشتهر بتدوين التاريخ . قال في ترجمة ثابت بن سنان : « ... كان خال هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابىء الكاتب البليغ . وعمل ثابت هذا ، كتاب التاريخ المشهور في الآفاق الذي ما كتب كتاب في التاريخ أكثر مما كتب ، وهو من سنة نيف وتسعين ومائتين وإلى حين وفاته في شهور سنة ثلاث وستين وثلثمائة . وعليه ذيّل ابن اخته هلال بن المحسن بن ابراهيم ، ولولاهما لجُهل شيء كثير من التاريخ في المدتين » .

ثم أردف القفطي قائلاً : « وإذا أردت التاريخ متصلاً جميلاً ، فعليك بكتاب أبي جعفر الطبري رضي الله عنه ، فانه من أول العالم وإلى سنة تسع وثلثمائة . ومتى شئت أن تقرن به كتاب أحمد بن أبي طاهر وولده عبيد الله . فنعم ما تفعل ، لأنهما قد بالغا في ذكر الدولة العباسية وأتيا من شرح الأحوال بما لم يأت به الطبري بمفرده ، وهما في الانتهاء قريبا المدة ، والطبري أزيد منهما قليلاً . ثم يتلو ذلك كتاب ثابت ، فانه يداخل الطبري في بعض السنين ويبلغ إلى بعض سنة ثلاث وستين وثلثمائة ، فان قرنت به كتاب الفرغاني الذي ذيّل به كتاب الطبري[1] ، فنعم الفعل تفعله ، فان في كتاب الفرغاني بسطاً أكثر من كتاب ثابت في بعض الأماكن ، ثم كتاب هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابىء ، فانه داخل كتاب خاله ثابت وتمم عليه إلى سنة سبع وأربعين وأربعمائة . ولم يتعرض أحد في مدته إلى ما تعرض له من إحكام الأمور ، والاطلاع على أسرار الدول ، وذلك انه أخذ ذلك عن جده لانه كاتب الانشاء ، ويعلم الوقائع ، وتولى هو الانشاء أيضاً ، فاستعان بعلم الأخبار الواردة على ما جمعه . ثم يتلوه[2]

---

(١) سمى الفرغاني تاريخه بـ « المذيل » . أنظر : صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد (ص ١٥٦ ، طبعة دي غويه . ليدن ١٨٩٧) .

(٢) في المعلمة الاسلامية (١ : ١٦٥ ، الترجمة العربية) : ان « ابن القلانسي » ، المتوفى سنة ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م) ، أتم تاريخ هلال الصابىء ، فوصل به الى عام ٥٥٥ هـ وسماه « ذيل تاريخ دمشق » . وقد نشره آمدروز في بيروت ، سنة ١٩٠٨ .

كتاب ولده غرس النعمة محمد بن هلال ، وهو كتاب حسن[1] إلى بعد سنة سبعين وأربعمائة بقليل ... »[2].

وذكر السخاوي هلالاً ، بقوله ان له « تاريخاً في أربعين مجلداً »[3].

والظاهر ان هلالاً تفرغ لكتابة تاريخه المشهور في حدود سنة ٤٣٠ للهجرة، ولعلنا نستنتج هذا من قصة طريفة جرت له مع مؤيد الملك أبي علي الحسن بن الحسين الرّخجي وزير شرف الدولة بن بهاء الدولة البويهي ، رواها أبو الفرج ابن الجوزي ، ثم جاء بمعلومات طريفة عن هلال ، وما خلفه من مال . قال : « ... وكان فخر الملك قد أودع أقواماً ولحن بأسمائهم وكنى عن ألقابهم ؛ فكان فيها عند الكوسج اللحياني عشرون ألف دينار ، وعند بسرة بقمعها ثلاثون ألف دينار ، فلم يعرف من هذان ؛ فدخل عليه رجل كان يتطايب لفخر الملك ويأنس به وكان يلقبه الكوسج اللحياني لكثافة الشعر في أحد عارضيه وخفته في الآخر فدخل على الرخجي متظلماً من جار له متقرباً اليه بخدمة فخر الملك ، فقال له : يا مولانا ، انه كان يطلعني فخر الملك على أسراره ويلقبني بالكوسج

---

(١) قال ابن تغري بردي (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٥ : ١٢٦ ، طبع دار الكتب المصرية) : « وفيها [سنة ٤٨٠ هـ] توفي محمد بن هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابىء أبو الحسن ، الملقب بغرس النعمة ، صاحب التاريخ المسمى بـ (عيون التواريخ) ، ذيله على تاريخ أبيه ، وأبوه ذيله على تاريخ ثابت بن سنان، وثابت ذيل على تاريخ محمد بن جرير الطبري . وكان تاريخ الطبري انتهى الى سنة اثنتين أو ثلاث وثلثمائة [كذا . والصواب انه انتهى الى سنة ٣٠٩ هـ] . وتاريخ ثابت انتهى الى سنة ستين وثلثمائة . وتاريخ هلال انتهى الى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة . وتاريخ غرس النعمة هذا انتهى الى سنة تسع وسبعين وأربعمائة » .

ويظهر ان ابن تغري بردي انفرد بتسمية تاريخ غرس النعمة بـ « عيون التواريخ » ، فالمشهور بهذه التسمية ، كتاب « عيون التواريخ » لابن شاكر الكتبي ، المتوفى سنة ٧٦٤ هـ . وكتاب ابن شاكر مرتب على السنين ، في ستة مجلدات ، منه اليوم نسخ خطية في بعض الخزائن .

(٢) اخبار العلماء (ص ١١٠) .

(٣) الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ٩٧ و ١٥٢ ، طبع دمشق ١٣٤٩ هـ) .

اللحياني ، فقال لأصحابه : لا تفارقوه إلا بعشرين ألف دينار ، وتهدده بالعقوبة ، فحملها بختومها . ثم تفكر في قوله عند بسرة بقممها ، فقال : هو الصابىء ، فأحضر هلال بن المحسن ، فخاطبه سراً ، وكان هذا أحد كتّاب فخر الملك ، فلم ينكر فقال له : قم أيها الرئيس آمناً ولا تظهر هذا الحديث لأحد ، وانفق المال على نفسك وولدك . ثم حضر ابن الصابىء على أبي سعد بن عبد الرحيم[1] في وزارته ، فقال له : قد عرفت ما دار بينك وبين الرخجي ، وأنت تعلم حاجتي إلى حبة واحدة وتأولي على من لا معاملة بيني وبينه ، ولا يسبقني الرخجي إلى مكرمة ، وما كنت لأنكب مثلك ، والصواب أن تشتغل بتاريخ أخبار الناس . فاشتغل ابن الصابىء من ذلك الوقت بتاريخه الذي ذيله على تاريخ سنان فاستخدمه الملوك فلم يحتج الى إنفاق شيء من المال ، وخلف ولده أبا الحسن غرس النعمة وخلف له أملاكاً نفيسة على نهر عيسى ، وأنفق مقتصداً في النفقة ، وعمر الاملاك ، ولم يطلع أحد من أولاده على ذلك . وظن أولاده ان تركته تقارب الألف دينار ، فوجدوا له تذكرة تشتمل على دفائن في داره ، فحفروهـا فكانت اثني عشر ألف دينار ، وكان ما خلفه من القماش وغيره لايبلغ خمسين ديناراً . وأنفق أولاده التركة في أسرع زمان »[2].

هـ ـ هلال الأديب :

كان هلال يطلب الأدب ، فسمع جماعة من مشاهير النحاة وتأدب بهم ، منهم: أبو علي الفارسي النحوي ، وعلي بن عيسى الرماني ، وأبو بكر أحمد بن محمد بن الجراح الخزاز ، فنبغ في علمه وأدبه ، حتى قال فيه سبط ابن الجوزي :

---

(١) أبو سعد محمد بن الحسين بن علي بن عبدالرحيم . أصله من براز الروز . وزر دفعات للملك أبي كاليجار المرزبان بن سلطان الدولة أبي شجاع بن بهاء الدولة . وتوفي بجزيرة ابن عمر في ذي القعدة سنة ٤٣٩ هـ ، عن ست وخمسين سنة .

(٢) المنتظم (٨ : ١٠١ ـ ١٠٢) .

« كان هلال من الفصحاء ، وله الكلام الفصيح والنثر المليح » .

عُرف هلال بالصدق والأمانة ، شهد له بهذا فريق من مشاهير الكتبة، منهم معاصره الخطيب البغدادي، قال : « كان ثقة صدوقاً »[1]. وذكره آخرون بكل ثناء وتقدير في مناسبات مختلفة ، كياقوت الحموي[2] ، وابن أبي أصيبعة ، وابن عبد الحق ، والسخاوي ، والحاج خليفة ، وغيرهم .

و - وفاته - ابنه غرس النعمة :

توفي هلال ليلة الخميس سابع عشر شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وأربعمائة للهجرة (١٠٥٦ م) ، عن تسع وثمانين سنة ، وخلف بعض الولد ، اشتهر منهم : أبو الحسن محمد غرس النعمة . وُلِد من زوجه المسلمة سنة ٤١٦ هـ ، وقد مرت الاشارة اليه في قصة اسلام أبيه .

نشأ غرس النعمة في كنف أبيه وفي رعايته ، وبه تمهّر في العلم والأدب ، فنبغ فيهما ، وسمع أيضاً أبا علي بن شاذان . وقضى بعض الزمن في دار الانشاء للخليفة القائم بأمر الله . قال سبط ابن الجوزي في حوادث سنة ٤٤٨ هـ : « من أول هذه السنة ابتدأ أبو الحسن محمد بن هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابىء الكاتب ، ويسمى غرس النعمة ، تاريخه ، وذيله على تاريخ أبيه هلال ، وزعم ان تاريخ أبيه انتهى الى هذه السنة »[3] .

ثم ذكر القفطي هذا السِفر بقوله انه « كتاب حسن ، الى بعد سنة سبعين وأربعمائة بقليل ، وقصر في آخر الكتاب لمانع منعه الله أعلم به ... » .

وتابع القفطي كلامه ، فقال : « ... ثم داخله ابن الهمذاني وتمَّ الى بعض

---

(١) تاريخ بغداد (١٤ : ٧٦) . والعجيب من الخطيب البغدادي انه أوجز في ترجمة هلال ، مع انه نقل عنه غير مرة واستفاد من علمه ودرايته !.

(٢) معجم الأدباء (٧ : ٢٥٥-٢٥٧) . وجرى ياقوت في ترجمة هلال ، مجرى الخطيب البغدادي ، اذ أورد في ترجمته حكاية متداولة ، وأغفل ذكر كتبه المشهورة .

(٣) مرآة الزمان (المخطوط : الورقة ١١ و١٩ و ٢) .

سنة اثنتي عشرة وخمسمائة ، وكمل عليه أبو الحسن بن الزاغوني ، فأتى بما لايشفي الغليل ، إذ لم يكن ذلك من صناعته فأوصله الى سنة سبع وعشرين [وخمسمائة] ، ثمّ كمّل عليه العفيف صدّقة الحدّاد الى سنة نيف وسبعين وخمسمائة ، ثم كمل عليه ابن الجوزي الى بعد سنة ثمانين ، ثم كمل عليه ابن القادسيّ الى سنة ست عشرة وستمائة »[1] .

وصنّف غرس النعمة كتباً أخرى ، منها « كتاب الربيع » ابتداؤه سنة ٤٦٨ هـ ، وجعله ذيلاً[2] على كتاب « نشوار المحاضرة » للتنوخي .

ومن تصانيفه المشهورة ، كتابه الموسوم « الهفوات النادرة من المغفلين المحظوظين والسقطات البادرة من المغفلين الملحوظين » ، جمع فيه كثيراً من الحكايات التي تتعلق بهذا الباب .

والمعروف ان مؤلفات غرس النعمة قد أتت عليها يد الزمن العاتية ، فلسنا نجد منها اليوم ، سوى نبذ ضئيلة منثورة في مصنّفات قديمة ، كنشوار المحاضرة ، ومعجم الأدباء ، ووفيات الأعيان ، وغرر الخصائص الواضحة .

وقد وصف المؤرخون غرس النعمة ، بانه كان فاضلاً ، أديباً مترسلاً ، وله صدقة كثيرة ومعروف ، محترماً عند الخلفاء والملوك والوزراء[3] .

وفي شهر رجب من سنة ٤٥٢ هـ ، وقف غرس النعمة دار كتب بشارع ابن أبي عوف من غربي مدينة السلام ، ونقل اليها نحو ألف[4] كتاب .

---

(١) اخبار العلماء (ص ١١٠-١١١) .
(٢) معجم الأدباء (٦ : ٢٥١) .
(٣) النجوم الزاهرة (٥ : ١٢٦) .
(٤) كذا ما في المنتظم (٨ : ٢١٦) ومرآة الزمان (المخطوط) . وفي المنتظم (٩ : ٤٢) : ان غرس النعمة « وقف فيها نحواً من أربعمائة مجلد في فنون العلوم » . وذكر المستعرب « كرنكو » في مادة « الصابىء » من « المادة الاسلامية » ، انه وضع فيها أربعمائة مجلد . وقد نقل هذا الخبر من كتاب « الوافي بالوفيات » للصفدي ، المخطوط بالمتحف البريطاني (الرقم ٥٣٢٠ ، ظهر الورقة ١١٠) . أما ابن كثير =

قال ابن الجوزي : « وكان السبب ، ان الدار التي وقفها سابور الوزير بين السورين احترقت ونهب أكثر مافيها ، فبعثه الخوف على ذهاب العلم ان وقف هذه الكتب »[١] .

وكانت خزانة غرس النعمة هذه « مباءة للعلماء والدارسين ، ومكاناً حسناً لمناظراتهم ومباحثاتهم . فقد ذكر أبو الوفاء علي بن عقيل الحنبلي المتوفى سنة ٥١٣هـ (١١١٩م) ، في كتابه الكبير الموسوم بـ (الفنون) : حضرنا يوماً بدار الكتب بشارع ابن أبي عوف ، فتذاكرنا أمر العقل وتحسينه وتقبيحه ... »[٢].

ثم قال : « ... ورتب بها خازناً يقال له ابن الأقساسي العلوي ، وتكرر العلماء اليها سنين كثيرة ما لم تزل له أجرة ، فصرف الخازن وحك ذكر الوقف من الكتب وباعها ، فأنكرت ذلك عليه ، فقال : قد استغني عنها بدار الكتب النظامية . قال المصنف : فقلت : بيع الكتب بعد وقفها محظور ! فقال : قد صرفت ثمنها في الصدقات ! »[٣].

توفي غرس النعمة[٤] في ذي القعدة سنة ثمانين وأربعمائة للهجرة (كانون

= (البداية والنهاية في التاريخ ١٢ : ١٣٤) ، فقد قال ان غرس النعمة وقف فيها أربعة آلاف مجلد في فنون من العلوم .

(١) المنتظم (٨ : ٢١٦) .

(٢) خزائن الكتب القديمة في العراق ، تأليف كوركيس عواد (ص٢٣٩ ، بغداد ١٩٤٨) .

(٣) المنتظم (٩ : ٤٢-٤٣) . ويبدو لنا ان في هذا النص نقصاً ظاهراً ، وتمام الخبر ماذكره الصفدي في الوافي بالوفيات ، قال : « ... وجعل ابن الاقساسي خازناً فيها ، الا ان هذا الرجل لم يكن أميناً عليها ، فأساء السيرة ، وباع كثيراً من هذه الكتب » .

(٤) قال « كرنكو » في مادة « الصابيء » من « المعلمة الاسلامية » : « زال مجد بيته بموته » . ولا نرى صواب هذا القول ، لأن غرس النعمة وذويه أنجبوا أبناء ، اشتهروا بالعلم والأدب والسياسة . منهم : محمد بن سعيد بن ابراهيم بن نبهان أبو علي الكاتب ، سبط هلال بن المحسن الصابيء . ومحمد بن اسحاق بن محمد بن هلال بن المحسن ، وغيرهما .

الثاني ١٠٨٨ م)، ودفن في داره بشارع ابن [أبي] عوف ، ثم نقل الى مشهد علي[١] ، وخلف سبعين ألف دينار[٢].

ز ـ مؤلفات هلال :

وضع هلال طائفة من الكتب الجليلة في بحوث متنوعة ، سطت على أغلبها يد الزمن العاتية ، فلم يسلم منها إلا النزر اليسير .

وقد اقتصرت المراجع القديمة على ذكر بعض من مؤلفاته ، وأغفلت البعض الآخر .

وها نحن أولاء ندرج أسماءها مع صفة كل منها .

أولا ـ غرر البلاغة في الرسائل : وهو كتاب في ٢٩ باباً ، يتضمن فصولا في الكتابة وأساليبها ، مع عدة رسائل من كلامه[٣]. نقل عنه القلقشندي نسختي مبايعة[٤] من بيعات خلفاء بني العباس . ثم نقل عنه نسخة يمين[٥] ملوكية ، وهي في الايمان التي يحلف بها على بيعة الخليفة عند مبايعته . وفي موطن آخر ، نقل عنه نسخة أمان[٦] من الأمانات التي كانت تكتب لأهل الاسلام .

ثانياً ـ كتاب الرسالة عن الملوك والوزراء : وهو مجموع رسائله الرسمية ، وهي تذكرنا برسائل جده أبي اسحاق الصابىء .

ثالثاً ـ كتاب مآثر أهله : وهو تاريخ لأهل بيته ، ولاشك انه حوى معلومات طريفة عمن نبغ من أهله في مختلف المناحي العلمية والأدبية والسياسية .

---

(١) المنتظم (٩ : ٤٢) .
(٢) المنتظم (٩ : ٤٢) ، والبداية والنهاية (١٢ : ١٣٤) .
(٣) قيل ، ان هذا الكتاب نجا من قوارع الدهر ، فان منه نسخة في خزانة الكتب العلمي الملوكي في بطرسبرج . أنظر : المشرق (٦ [بيروت ١٩٠٣] ص ٤٦٩) .
(٤) صبح الأعشى (٩ : ٢٨٠ـ٢٨٢ و ٢٨٥ـ٢٨٦) .
(٥) صبح الأعشى (١٣ : ٢١١ـ٢١٣) .
(٦) صبح الأعشى (١٣ : ٣٣٩) .

رابعاً ـ كتاب الكُتّاب : وهو على ما يبدو من عنوانه ، على غرار كتاب « أدب الكُتّاب » للصولي .

خامساً ـ كتاب السياسة : لم يصل الينا من خبره شيء ما .

سادساً ـ كتاب أخبار بغداد : تناول فيه تاريخ بغداد وخططها . نقل عنه ياقوت الحموي في غير موطن من معجم البلدان .

سابعاً ـ رُسوم[١] دار الخلافة : وهو من أجلّ كتبه وأنفسها . ذو أبواب فريدة ، وموضوعات طريفة ، صنّفه وهو يتولى ديوان الانشاء بدار الخلافة ، وكان الخليفة حينذاك القائم بأمر الله .

وهذا السفر[٢] يشتمل على تسعة عشر فصلاً ، عدا المقدمة والخاتمة . وهي كما يأتي :

المقدمة .

ذكر أحوال الدار العزيزة [دار الخلافة العباسية] .

آداب الخدمة .

قوانين الحجابة ورسومها .

من الرسم أن يزمّ الناس فلا يسمع لهم صوت ولا لفظ

آداب مسايرة الخلفاء في المواكب .

---

(١) الرسوم ، مفردها الرسم . ويراد بها في هذا السفر معنيان ، نوردها هاهنا بوجه الاختصار ، للتعريف بهما دون التفصيل .

الاول : مجموع العادات التي يجرى عليها في مقابلة الناس أو معاملتهم في شؤون الألفة . وهذا مايعرف في الفرنسية بـ « أتيكيت ETIQUETTE » .

والمعنى الثاني : مجموع الاحتفاء بالناس في الأمور السياسية والقيام بها ، وفي مقابلة الملوك وعظام الدول ، وهذا يعرف بالفرنسية بـ « البروتوكول PROTOCOLE » . — وهذان المعنيان يتضحان كل الاتضاح من عناوين فصول الكتاب وشروحها .

(٢) فرغنا من تحقيق هذا الكتاب والتعليق عليه ، وأعددناه للنشر . راجع ما كتبناه بشأنه في مجلة الرسالة (العدد ٣٦٢ ، سنة ١٩٤٠) .

جلوس الخلفاء ومايلبسونه في المواكب ، ويلبسه الداخلون عليهم من الخواص وجميع الطوائف .

خِلَعُ التقليد والتشريف والمنادمة .

ما يحلف به الخليفة عند التقليد والتشريف بالتكنية والالقاب .

رُسُوم المكاتبات عن الخلفاء في صدورها وعنواناتها ، والأدعية فيها ، وما يُعاد منها في أواخرها .

خطاب الخلفاء في الكتب والأدعية .

رُسُوم الكتب عن الخلفاء .

الدُعاء للمكاتبين عن الخلفاء ، وما كان الرسم أولاً جارياً به وانتهى أخيراً اليه .

الانتساب الى مولى أمير المؤمنين .

مايذكر في أواخر الكتب ، من قولهم : وكتب فلان بن فلان .

الطُروس التي يكتب فيها الى الخلفاء وعنهم ، والخرائط التي تحمل الكتب صادرةً وواردةً فيها ، والختوم التي تُوقّع عليها .

الألقاب .

الخطبة على المنابر .

ضرب الطبل في أوقات الصلوات .

خطب النكاح .

فصل خدَم به الخادم فيما قطع عنده الكتاب .

ثامناً ـ كتاب التاريخ : اشتمل على حوادث السنين التي وقعت من سنة ٣٦٠ حتى سنة ٤٤٧ للهجرة . وقد ضاع هذا السفر العظيم ، ولم يسلم منه سوى قطعة[1]

---

(١) نشرها المستعرب (آمدروز H. F. AMEDROZ) في آخر كتاب « تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء » (ص ٣٦٥ـ٤٨٤) ، وألحقها كذلك بـ « ذيل تجارب الأمم » معتبراً اياها كالتكملة والذيل للذيل المذكور (ص ٣٣٣ـ٤٦٠) .

صغيرة من المجلد الثامن ، جاء فيها أخبار خمس سنين ، أولها سنة ٣٨٩ ، وآخرها سنة ٣٩٣ هـ ، ولا غرو ، فان الأخبار الصادقة التي وردت في هـذه القطعة خير برهان على نفاسة الكتاب .

تاسعاً ـ الأماثل والأعيان ومنتدى العواطف والاحسان : شهدت المراجع القديمة انه من عيون تآليف هلال وأجلها قدراً . فقد وصفه ياقوت بقوله : «صنّف [هلال] كتاب الأماثل والأعيان ومنتدى العواطف والاحسان ، جمع فيه أخباراً وحكايات مستظرفة ، مما حكي عن الأعيان والأكابر ، وهو كتاب ممتع . ومما يستحسن من تلك الأخبار، قال: حدّث القاضي أبو الحسين عبيدالله بن عياش ، ان رجلاً اتصلت عطلته وانقطعت مادته ، فزوّر كتاباً ...» .[1]

والحكاية هذه وردت بحروفها في ترجمة الوزير « ابن الفرات» الموجودة في « تحفة الأمراء[2] » .

وممن ذكر هذا السفر ورآه بأم عينه، ابن خلكان . قال يصفه : «... ورأيت له [لهلال] تصنيفاً جمع فيه حكايات مستملحة وأخباراً نادرة ، وسماه كتاب الأماثل والأعيان ومنتدى العواطف والاحسان ، وهو مجلد واحد ، ولا أعلم هل صنّف سواه أم لا ... » .[3]

---

(١) معجم الأدباء (٧ : ٢٥٥ـ٢٥٦) . ووردت هذه الحكاية أيضاً في : نشوار المحاضرة (١ : ٣٣ـ٣٥) ، والمنتظم (٦ : ١٩١) .

(٢) تحفة الأمراء (ص ١١٣ ـ ١١٤) . وقد ذهب « كرنكو » : (المعلمة الاسلامية ، مادة « الصابىء ») الى ان « الأماثل والأعيان » و« تحفة الأمراء» كتاب واحد ، ولعله استند في ذلك الى هذه الحكاية . وعندنا ان هـذا الرأي لايزال موضوع نظر .

(٣) وفيات الأعيان (٢ : ٢٩٩ـ٣٠٠) ولكننا نجد ابن خلكان نفسه ، في معرض ترجمته للوزير أبي الفضل بن العميد (وفيات الاعيان ٢ : ٨٦) ، يستشهد بـ « كتاب الوزراء » لهلال ، وينقل منه كلاماً وشعراً . وقد أوردنا ذلك في أخبار ابن العميد .

ومن الكتبة المتأخرين الذين نوهوا بهذا الكتاب : الحاج خليفة (١٠٦٧ هـ = ١٦٥٦ م) ، وابن العماد الحنبلي (١٠٨٩ = ١٦٧٨ م) . قال الأول[1] : « كتاب الأعيان والأماثل ، لأبي الحسن هلال بن المحسن العياني [كذا . والصواب : الصابىء] ، المتوفى سنة [٤٤٨ هـ] » .

وقول الثاني[2] : « ... وله كتاب الأماثل والأعيان ومبتدى [كذا . والصواب : منتدى] العواطف والاحسان ، وهو مجلد » .

يستخلص من أقوال هؤلاء الكتبة ، ان هلالاً سلك في « الأماثل والأعيان » مسلك التنوخي في « نشوار المحاضرة » ، إذ أورد حكايات مستظرفة ، وآثاراً ونوادر مستملحة لجملة من أماثل الناس وأعيانهم ، من مشايخ ، وفضلاء ، وعلماء ، وكتّاب ، وأدباء ، وأمراء ، ووزراء ، وظرفاء ، وندماء ، ومحدّثين ، وفلاسفة ، وحكماء ، وغيرهم كثيرين .

ولم يبق لنا الدهر منه غير عنوانه الطريف ، وحكاية القاضي بن عياش ، ونتف متناثرة هنا وهناك .

عاشراً ـ تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء : وعليه مدار بحثنا في الفصل الثاني .

* * *

---

(١) كشف الظنون (٢ : ٢٦٣ ، طبع استانبول سنة ١٣١٠ هـ ، ومثله في طبعة وزارة المعارف التركية ٢ : ١٣٩٤) .

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٣ : ٢٧٩) .

الفصل الثاني

كتاب تحفة الامراء في تاريخ الوزراء

من يبغ تتبع أخبار دولة بني العباس في شتى أدوارها، فليرجع الى ما صنّف في تراجم رجالها وأخبارهم وسيرهم . وكان الوزراء والكُتّاب من عيون أولئك الرجال ، فكان لهم الشأن الكبير ، والكلام المسموع ، والأمر النافذ . ومنهم من جمعَ بين السيف والقلم . فهذه الصفات وغيرها ، حملت غير واحد من الكتبة والمؤرّخين، على أن يعنوا بجمع أخبارهم وتدوين أحداث زمانهم . فمن أولئك الكتَبة ، من مدَح ، ومنهم من قدح ، ومنهم من كان معتدلاً بين هذا وذاك ، فدوّن أخبار الوزراء بالصفة الحسنة .

وهذا هلال الصابىء ، أحد أولئك الكتبة الذين اعتدلوا في تدوين أخبار وزراء دولة بني العباس ، فجاء مصنفه درة يتيمة وخريدة فريدة في هذا الباب .

ومما قاله هلال في هذا الشأن : « ... وكان أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري[1] جمع من أخبار الوزراء ما وقف فيه عند أبي أحمد العباس[2] بن الحسن . وصنع أبو بكر محمد بن يحيي الصولي[3] في مثل ذلك كتاباً رأيت منه ما كان إلى آخر أيام القاسم[4] بن عبيد الله ، لكنه ملأه بالحشو الزائد وكسفه

---

(١) راجع مقالنا « القسم الضائع من كتاب الوزراء والكتاب ، للجهشياري » في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق : (١٨ [١٩٤٣] ص ٣١٨ـ٣٣٢ و ٤٣٥ـ٤٤٢) .

(٢) كان وزيراً للمكتفي بالله ، ثم للمقتدر بالله . ولم تحمد سيرته . قتل في سنة ٢٩٦ ﻫ عند خلع المقتدر ومبايعة ابن المعتز بالخلافة .

(٣) ضاع كتاب الوزراء للصولي . وقد وقفنا في أثناء المطالعة على نبذ منه ، جمعناها وعلقنا عليها وأعددناها للنشر .

(٤) القاسم بن عبيدالله بن سليمان بن وهب . كان من أفاضل الوزراء . استوزره المعتضد بالله ، ثم المكتفي بالله ، وتوفي سنة ٢٩١ ﻫ .

بشعره البارد . ولم أر أحداً بعدهما تمم ابتداءهما ولا همّ به ، فكان ذلك مما بُخست فيه حظوظ من قطعا قبل عصره ووقفا قبل ذكره ، وما في أكثرهم إلا من له الفضائل المذكورة والمناقب المأثورة والآثار المشهودة والأفعال المشهورة : من مثل أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات ، وأبي الحسن عليّ بن عيسى بن داود بن الجراح، وأبي علي محمد بن عليّ بن مقلة، ومن بعدهم من وزراء الدولة العباسية ، ومثل أبي محمد الحسن بن محمد المهلبي ، وأبي الفضل محمد بن الحسين بن العميد ، وأبي القاسم اسماعيل بن عباد ، وأبي غالب محمد بن علي بن خلف ، ومن قعد مقعدهم بالعراق وفارس والري من كتّاب الأيام الديلمية ، ومثل السيد الأجل الأوحد العادل أبي منصور بهرام بن مافنّه حرس الله مدته وواصل سعادته الذي تأخر عنهم عصره وأبرّ عليهم فضله وصلى بعدهم عهده وفات جهدهم عفوه ... »[1].

ومعلوم ان من بين هؤلاء الوزراء والكتّاب من طالت أيامه واستقامت ، وذاع صيته ، وعمل أعمالاً صالحة أهابت بالكتبة والمؤرخين ليعنوا بتدوينها . وهذا كله أغرى هلالاً على أن يسهب في ترجمة طائفة من هؤلاء الوزراء الأعلام ، كابن الفرات – في وزاراته الثلاث – ، وعليّ بن عيسى ، والمهلبي[2].

وهذا وزير آخر خطير ، هو فخر الملك أبو غالب محمد بن عليّ بن خلف ، وزير بهاء الدولة البويهي ، ومن بعده لولده سلطان الدولة . ترجم له هلال ترجمة وافية في كتابه « تاريخ الوزراء » ، وشاهد ذلك ما ذكره الذهبي ، بقوله : « قُتل [فخر الملك] مظلوماً في سنة ٤٠٧ . وقد ذكره هلال بن المحسن في

---

(١) تحفة الأمراء (المقدمة ، ص ٢–٣) .

(٢) قال ياقوت (معجم الأدباء ٥ : ١٥٢) : «حدث الرئيس أبو الحسين هلال بن المحسن بن ابراهيم بن هلال الصابي . في الكتاب الذي ألفه في أخبار الوزير المهلبي ... ». قلنا : لم يكن هذا كتاباً قائماً بذاته ، بل فصلا مسهباً في ترجمة الوزير المهلبي ، ضمنه كتاب « تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء » الى جانب الفصول الأخرى في تراجم الوزراء .

كتاب الوزراء من جمه ، فأسهب في وصفه وأطنب وطوّل ترجمته . ولم يكن في وزراء الدولة البويهية من جمع بين الكتابة والكفاءة ، وكبر الهمة والمروءة والمعرفة بكل أمر مثله ، فان أعيان القوم : أبو محمد المهلبي ، وأبو الفضل ابن العميد ، وأبو القاسم بن عباد ، وما فيهم من خير الأعيان وجمع الأموال مثل فخر الملك »[1].

ذكر هلال انه افتتح كتابه الموسوم بـ « تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء » ، بترجمة أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات .

فيكون قد تناول في كتابه هذا الذي نرى انه أخرجه للناس قبيل وفاته ، تراجم أولئك الوزراء الذين وزروا لخلفاء بني العباس ، وابتدأهم بابن الفرات ، ولعله ختمهم بالوزير عميد الدولة محمد بن محمد بن جهير ، الذي وُزر للقائم[2] بأمر الله . وهو آخر من لقيه هلال من الوزراء . وهؤلاء الوزراء الذي عُني بالبحث في أخبارهم ، هم :

١ ـ أبو الحسن علي بن محمد بن موسى بن الفرات . وُزر ثلاث دفعات للمقتدر بالله .

٢ ـ أبو علي محمد بن عبيد الله بن يحيي بن خاقان . وُزر دفعتين، احداهما للمقتدر .

٣ ـ أبو الحسن علي بن عيسى بن داود بن الجرّاح . وزر دفعتين للمقتدر .

٤ ـ حامد بن العباس . وُزر للمقتدر . ولما عرف المقتدر قلة فهم حامد وقلة خبرته بأمور الوزارة ، أخرج اليه علي بن عيسى بن الجراح من الحبس وضمه اليه وجعله كالنائب له .

٥ ـ ابن الفرات . وزارته الثالثة .

٦ ـ أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن يحيي بن خاقان .

---

(١) تاريخ هلال الصابىء الملحق بذيل تجارب الأمم (ص ٤٦٠ ، الحاشية ١) .

(٢) دامت خلافته خمسا وأربعين سنة (٤٢٢-٤٦٧ هـ) .

٧ ـ أبو العباس أحمد بن عُبيد الله بن أحمد بن الخصيب . كان في مبدأ أمره كاتباً للسيدة أمّ المقتدر . ثم وزر للمقتدر .

٨ ـ علي بن عيسى . وزارته الثانية

٩ ـ أبو علي محمد بن علي بن مقلة . وُزر ثلاث دفعات، الأولى منها للمقتدر .

١٠ـ أبو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد . وُزر أربع دفعات، الأولى منها للمقتدر .

١١ـ أبو القاسم عبيد الله بن محمد الكلوذاني . وزر للمقتدر . لم تطل أيامه، وكثرت المصادرات وشغب الجند عليه ، وحلف انه لا يدخل بعد ذلك في الوزارة. وانقطع بداره وغلق بابه . فكانت وزارته مدة شهرين .

١٢ـ الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب . وُزر للمقتدر . قيل انه أعرق الناس في الوزارة ؛ هو وزير المقتدر، وأبوه القاسم وزير المعتضد والمكتفي ، وجده عبيد الله وزير المعتضد، وأبو جده سليمان بن وهب وزير المهتدي . وفي ذلك يقول الشاعر له :

يا وزير بن وزير بن وزير بن وزير
نسقاً كالدر إذ نظم في عقد النحور.

١٣ـ أبو الفضل جعفر بن الفرات. وُزر للمقتدر. وفي أيامه قُتل المقتدر بالله .

١٤ـ أبو علي بن مقلة . وزارته الثانية للقاهر بالله .

١٥ـ محمد بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب . وُزر للقاهر .

١٦ـ أبو علي بن مقلة . وزارته الثالثة للراضي بالله .

١٧ـ عبد الرحمن بن عيسى بن داود بن الجراح . وُزر للراضي .

١٨ـ أبو جعفر محمد بن القاسم الكرخي . وُزر للراضي ـ قيل دفعتين ـ .

١٩ـ سليمان بن الحسن بن مخلد . وُزر للراضي دفعتين .

٢٠ـ أبو الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات . وُزر للراضي .

٢١ـ سليمان بن الحسن بن مخلد . كانَ وزر ثانية للراضي وأقرَّه عليها المتقي لله .

٢٢ـ أبو الحسين[1] أحمد بن محمد بن ميمون . وُزر للمتقي .

٢٣ـ أبو عبد الله البريدي . وُزر للمتقي ثلاث دفعات .

٢٤ـ أبو اسحاق محمد بن أحمد[2] الاسكافي المعروف بالقراريطي . وُزر للمتقي ، ثم وُزر لأمير الأمراء توزون الديلمي .

٢٥ـ أبو العباس أحمد بن عبيد الله الأصفهاني وُزر للمتقي .

٢٦ـ أبو الحسين علي بن أبي علي محمد بن مقلة . وزر للمتقي . وفي أيامه خُلع المتقي وانتهت ايامه .

٢٧ـ أبو الفرج[3] أحمد بن محمد السامِرّيّ . وُزر للمستكفي بالله .

وخُلِع المستكفي بالله من الخلافة على يد معز الدولة البويهي ، واضطربت أحوال الخلافة ، ولم يبق لها رونق ولا وزارة . وتملك البويهيون وصارت الوزارة من جهتهم والأعمال اليهم ، وقُرر للخلفاء شيء طفيف برسم اخراجاتهم .

---

(١) في الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية لابن الطقطقى (طبعة أهلورت . غوطا سنة ١٨٥٨) : « أبو الخير » .

(٢) في الفخري : « ابراهيم » .

(٣) في الفخري : « محمد بن علي » .

فان المستكفي استكتب من بعد الوزير السامري ، أبا أحمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي ، استكتبه على خاص أمره ، وصارت الوزارة لمعز الدولة ، يستوزر لنفسه من يشاء .

ثم ولي الخلافة المطيع لله ، ومن بعده الطائع لله ، ثم القادر بالله ، ولم يكن للخليفة وزير في أيام هؤلاء الخلفاء الثلاثة ، بل استكتبوا كتاباً ، فان المطيع استكتب أبا سعيد وهب بن ابراهيم ، واستكتب الطائع جملة من الكتبة ، هم : علي بن جعفر بن نباتة ، وعيسى بن علي بن عيسى ، وعيسى بن عمران ، وعلي بن عبد العزيز بن حاجب النعمان . واستكتب القادر أبا الحسن علي بن عبد العزيز بن حاجب النعمان ، وأبا العلاء سعيد بن الحسن بن بريك .

وبويع القائم بأمر الله بالخلافة ، فزاد به وقار الدولة ، فاستوزر طائفة من الرجال ، كان أولهم عميد الدولة أبو نصر محمد بن محمد بن جهير ، الذي أشرنا اليه في صدر كلامنا هاهنا .

فهذه جملة كبيرة من الوزراء يربو عددهم على عشرين وزيراً ، يغلب على الظن ان هلالاً ترجم لكل منهم ، وقد وزروا لأربعة خلفاء عباسيين ، وفيهم من تولى الوزارة غير دفعة .

والذين انتهت الينا تراجمهم وأخبارهم في ما سلم من كتابه ، هم :

١ ـ أبو الحسن علي بن محمد بن موسى بن الفرات .

٢ ـ أبو علي محمد بن عبيد الله بن يحيي بن خاقان .

٣ ـ أبو الحسن علي بن عيسى بن داود بن الجراح .

٤ ـ حامد بن العباس ، ونيابة علي بن عيسى له .

فتراجم هؤلاء وأخبارهم ، مدونة في القسم المطبوع من كتاب « تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء » .

وقد وقفنا على خبر منوط بوزارة أبي علي محمد بن علي بن مقلة ، وهو من جملة الأخبار التي دونها هلال في ترجمة الوزير ابن مقلة . وكان مصيرها ـ أعني الترجمة ـ الضياع .

كما وقفنا على خبر آخر ، نظنه سقط من جملة أخبار الوزير علي بن عيسى ، وقد أثبتناه في آخر الكتاب .

وصفوة القول ، ان بقية الوزراء - غير الذين سلمت تراجمهم - هم نحو من عشرين وزيراً، سقطت تراجمهم من كتاب « الوزراء » لهلال وضاعت .

ولم يكتف هلال بما ترجمه لوزراء بني العباس ، بل تناول وزراء بني بويه ، وهم جملة كبيرة، كان بعضهم في العراق ، وبعضهم في فارس والري . وصرّح هلال انه ترجم للمهلبي ، وأبي الفضل ابن العميد ، والصاحب بن عباد ، وأبي غالب محمد بن علي بن خلف ، وأبي منصور بهرام بن مافنه .[1]

والذين لم يصرح هلال بأسمائهم من وزراء آل بويه ، جملة كثيرة . ويغلب على الظن انه ترجم لأبي الفتح ابن العميد ، وزير ركن الدولة البويهي وابنه مؤيد الدولة ، وأبي القاسم المطهر بن عبد الله ، وزير عضد الدولة ، وأبي الريان حامد بن محمد ، وزير عضد الدولة ، وأبي طاهر بن بقية ، وزير عز الدولة بختيار بن معز الدولة .

وقد وقفنا على طائفة حسنة من أخبار هؤلاء الوزراء وسيرهم ، نقلها بعض الكتبة الأقدمين من كتاب « الوزراء » لهلال ، وقد أثبتناها في مواضعها من كتابنا هذا .

ولعله ترجم لغير هؤلاء أيضاً من وزراء آل بويه ، ممن اشتهر وذاع صيته، ولكنا لم نقف على شيء من أخبارهم التي ذكرها هلال، كأخبار أبي جعفر الصيمري كاتب معز الدولة ووزيره ، وأبي الفضل العباس بن الحسين الشيرازي، صهر الوزير

---

(١) هو وزير الملك أبي كاليجار . ولد بكازرون سنة ٣٦٦ هـ . كان فاضلا عفيفاً نزهاً ، عادلا في سيرته . ومن آثاره دار كتب بفيروز آباد ، وقفها على طلاب العلم ، جمع فيها تسعة عشر ألف — وقيل سبعة آلاف — مجلد ، فيها أربعة آلاف ورقة بخط أبي علي وأبي عبدالله ابني مقلة . توفي سنة ٤٣٣ هـ . وقـد أسهب هلال في مدحه وأطنب . أنظر مقدمة « تحفة الأمراء » (ص ٣ - ٦) .

المهلبي ، وأبي الفرج ابن فسانجس ، وأبي طاهر بن بقية ؛ هؤلاء هم وزراء عزالدولة ، وأبي منصور بن صالحان وزير بهاء الدولة ، وغيرهم ممن يصعب حصرهم.

ومحصل القول ، ان هلالاً ترجم لجملة وزراء نبغوا في فترة من الزمن ، بين سنة ست وتسعين ومائتين ، وهي وزارة ابن الفرات الأولى ، وسنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، أو قبلها بقليل ، حيث توفي هلال .

وهذه فترة من الزمن تمتد نحو قرن ونصف قرن ، تناول فيها وزراء بني العباس وبني بويه ، وكتّابهم ، في العراق وفارس والري .

هذا ما ذهبنا اليه في أمر تراجم هذا الكتاب. على ان هلالاً ذكر في مقدمة « تاريخ الوزراء » ، أمراً قد يغيّر بعض مناحي هذا الرأي ، قال : « ... ونحن نبدأ فيما نورده بأخبار أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات لأنه تلا أبا أحمد العباس بن الحسن ، ونجعل ذكر وزاراته الثلاث متصلاً غير منقطع ومجتمعاً غير منقطع ، ونجري على هذا المثال في الوزراء الذين تكررت ولاياتهم ، إذ كان الغرض سياقة أخبارهم ومجاري أمورهم إلى غاية مددهم وانقضاء أيامهم لا ترتيب خلفائهم وأمرائهم وأوقاتهم وأزمانهم »[1].

وهذا لا يعني ان هلالاً لم يترجم للوزراء والكتّاب الذين عددناهم، بل يغلب على الظن انه تناول في كتابه النفيس هذا ، جملة كبيرة من وزراء بني العباس ، وبني بويه، ومن كتّابهم الذين جروا مجرى الوزراء ، ولا عجب أن يكون سفراً[2]

---

(١) تحفة الأمراء (ص ٧) .

(٢) تناثرت أوراقه وضاعت ، ولم يسلم منه غير قسم قليل من أوله ، فيه أخبار ثلاثة وزراء . عني بنشره المستعرب الانكليزي « آمدروز H. F. AMEDROZ » (بيروت . مطبعة الآباء اليسوعيين . سنة ١٩٠٤ ، ٣٦٤ ص) . ووضع له الناشر مقدمة وملاحظات باللغة الانكليزية في نحو ٤٠ صفحة ، وفهرساً لأسماء الرجال ، وآخر لأسماء الاماكن . وفي أوله نبذة في ترجمة هلال الصابي ، ومؤلفاته ، نقل أغلبها عن سبط ابن الجوزي ، وورقتان بالفتغرافية ، تقابلان الصحائف ٤٣٠ و ٢٨٧ و ٢٨٨ من تحفة الأمراء ، في جانب من ترجمة أبي اسحاق ابراهيم الصابي .

وقد مر بنا انه ألحق بتحفة الأمراء قطعة من الجزء الثامن من كتاب « التاريخ » لهلال ، وجاء الكل في ٤٨٤ ص .

ضخماً في غاية الجلالة والنفاسة ، بسط فيه أخبارهم وسيرهم وتفصيل أحوالهم ، وتصرفهم في تدبير البلاد وسياسة الأمور ، وهو الذي استقى هذه الأخبار من أصدق المصادر وأوثق الرواة ، فضلاً عما وجده في بطون الدفاتر والاثبات التي كان يطلع عليها في أثناء القيام بمهمته وانشاء رسائله .

من الثابت ان هلالاً فرغ من تصنيف كتابه « تاريخ الوزراء » وهو مسلم ، فهو القائل في مقدمة كتابه هذا : « أما بعد ، فان أول ما افتتح به القول فأفلحت مصادره وأعمل به النطق ... ، وصلى الله على من اصطفى من خلقه وارتضى لاقامة حقه محمد ذي الاصل الشامخ والفخر الباذخ والقول الناصح والعمل الصالح ، الذي هدانا من الضلال بما أوردنا من الدلالة وأنقذنا من الجهالة بما بلّغنا من الرسالة ، فقال له ربه تبارك وتعالى اسمه : (يا أيها النبي انّـا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً) ».[١]

وقد رفع هلال كتابه « تاريخ الوزراء » إلى الخليفة[٢] ، ولكنه لم يصرح باسم هذا الخليفة ، فلعله رفعه إلى القادر بالله[٣] ، أو إلى القائم بأمر الله[٤] .

* * *

وقد اختلف الكتّـاب في تسمية كتاب هلال الذي نحن بصدده ، فسماه بعضهم بـ « تاريخ الوزراء » ، وبعضهم بـ « أخبـار الوزراء » ، وغيرهم بـ « كتاب الوزراء » .

أما تسميته بـ « تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء » ، فلم نقف عليها إلا في صدر ما نشره المستعرب آمدروز .

---

(١) تحفة الأمراء (ص ١ ـ ٢) .
(٢) تحفة الأمراء (ص ٦ ـ ٧) .
(٣) خلافته ٣٨١ ـ ٤٢٢ هـ .
(٤) خلافته ٤٢٢ ـ ٤٦٧ هـ .

الفصل الثالث

أقسام ضائعة من تحفة الامراء في تاريخ الوزراء

أبو محمد الحسن بن محمد المهلبي [(١)]

« حدث الرئيس أبو الحسين هلال بن المحسن بن ابراهيم بن هلال الصابىء في الكتاب الذي ألفه في أخبار الوزير المهلبي ، واسمه الحسن بن محمد بن هارون بن ابراهيم بن عبدالله بن زيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة وزير معز [(٢)] الدولة بن بويه الديلمي ، قال » :

« وكان أبو الفرج الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني من ندماء الوزير أبي محمد ،

---

(١) ولد بالبصرة سنة ٢٩١ هـ . واستوزره معز الدولة البويهي ، فبقي في وزارته ثلاث عشرة سنة وثلاثة اشهر . وقد عرف بهمته العالية وحسن تدبيره أمور العراق . وكان يترسل مليحا ، ويقول الشعر قولا لطيفاً . توفي سنة ٣٥٢ ، وقيل ٣٥١ هـ ، في طريق واسط ، وحمل الى بغداد ودفن في مقابر قريش في مقبرة النوبختية .

(٢) معز الدولة أبو الحسين أحمد بن أبي شجاع بويه . ولد في سنة ٣٠٣ هـ . ولم يكن على شيء في صباه . وعرف بالاقطع لانه كان مقطوع اليد اليسرى وبعض أصابع اليمنى ، قطعت في بعض حروبه بكرمان .

وتقلبت به الايام من حال الى حال ، فارتفع شأنه وشأن أخويه « ركن الدولة » و« عماد الدولة » ، فامتلكوا كثيراً من البلدان .

وما زال معز الدولة في نجاح حتى جاء بغداد ، فدخلها متملكاً يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادي الاولى سنة اربع وثلثمائة ، في خلافة المستكفي ، وملكها بلا كلفة .

ودامت امارته على العراق احدى وعشرين سنة وأحد عشر شهراً ويومين . وكان الى جانب ما عرف عنه من ظلم وجور وعسف وأذى للناس ، حازماً سايساً متهيباً حليماً كريماً عاقلا .

واشتهر ببعض الاعمال العمرانية في العراق . وكانت وفاته في السابع عشر من شهر ربيع الآخر سنة ست وخمسين وثلثمائة ، ببغداد . ودفن في داره ، ثم نقل الى تربة بنيت له بباب التبن في مقابر قريش .

وعاش معز الدولة ثلاثاً وخمسين سنة ، وخلفه من بعده ابنه بختيار الملقب « عز الدولة » .

الخصيصين به . وكان وسخاً قذراً لم يغسل له ثوباً منذ فصله إلى أن قطعه . وكان المهلبي شديد التقشف ، عظيم التنطس[١] ، وكان يحتمل له ذلك لموضعه من العلم . فقال فيه : كان أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني ، وكان أموي النسب ، عزيز الأدب ، عالي الرواية ، حسن الدراية ، وله تصنيفات ، منها : كتاب الأغاني وقد أورد فيه ما دل به على اتساع علمه وكثرة حفظه . وله شعر جيد ، إلا انه في الهجاء أجود ، وإن كان في غيره غير متأخر . وكان الناس على ذلك العهد يحذرون لسانه ، ويتقون هجاءه ، ويصبرون في مجالسته ومعاشرته ومواكلته ومشاربته على كل صعب من أمره ، لانه كان وسخاً في نفسه ، ثم في ثوبه وفعله ؛ حتى انه لم يكن ينزع دُرّاعة يقطعها إلا بعد ابلائها وتقطيعها ، ولا يعرف لشيء من ثيابه غسلاً ، ولا يطلب منه في مدة بقائه عوضاً. فحدثني جدي [ابراهيم بن هلال الصابىء] ، وسمعت هذا الخبر من غيره لانه متفاوض متعاود : ان أبا الفرج كان جالساً في بعض الأيام على مائدة أبي محمد المهلبي ، فقدمت سكباجة[٢] ، وافقت من أبي الفرج سعلة ، فبدرت من فيه قطعة من بلغم ، فسقطت وسط الغضارة[٣] ، فتقدم[٤] أبو محمد برفعها ، وقال : هاتوا من هذا اللون في غير هذه الصحفة ، ولم يبن في وجهه انكار ولا استكراه ، ولا داخل أبا الفرج في هذه الحال استحياء ولا انقباض . هذا الى ما يجري هذا المجرى على مضي الأيام . وكان أبو محمد عزوف النفس بعيداً من الصبر على مثل هذه الأسباب ، إلا انه كان يتكلف احتمالها لورودها من أبي الفرج . وكان من ظرفه في فعله ونظافته في مأكله ، انه كان إذا أراد أكل شيء بملعقة كالأرز واللبن وأمثاله ، وقف من جانبه الأيمن غلام معه نحو ثلاثين ملعقة زجاجاً

---

(١) تنطس : تأنق في كلامه وملبسه ومأكله ، وغير ذلك .

(٢) السكباج : لحم يطبخ بخل . راجع صفة صنعته في كتاب « الطبيخ » لمحمد بن الحسن بن محمد بن عبدالكريم الكاتب البغدادي (ص ٩ ـ ١٠ ، ٥٦) طبعة الدكتور داود الجلبي . الموصل ١٩٣٤) .

(٣) الغضارة : القصعة الكبيرة من الطين . فارسية . جمعها : غضائر .

(٤) تقدم ، بمعنى : أمر .

مجروداً ، وكان يستعمله كثيراً ، فيأخذ منه ملعقة يأكل بها من ذلك اللون لقمة واحدة : ثم يدفعها إلى غلام آخر قام من الجانب الأيسر، ثم يأخذ أخرى فيفعل بها فعل الأولى حتى ينال الكفاية لئلا يعيد الملعقة إلى فيه دفعة ثانية . فلما كثر على المهلبي استمرار ما قدمنا ذكره، جعل له مائدتين، احداهما كبيرة عامة، وأخرى لطيفة خاصة ، وكان يواكل عليها من يدعوه اليها ، « قال هلال » : وعلى صنع أبي محمد بأبي الفرج ما كان يصنعه ، فما خلا من هجوه . قال فيه :

أبعين مفتقر اليك رأيتني بعد الغنى فرميت بي من حالق[1]

لستَ الملوم أنا الملومُ لأنني أمّلت للاحسان غير[2] الخالق[3]

* * *

« قال ابن الصابىء [في كتاب الوزراء] » : « وحدثني جدي أيضاً . قال : قصدت أنا وأبو عليّ الأنباريّ ، وأبو العلاء صاعـد[4] ، دار أبي الفرج [الأصفهاني] لقضاء حقه وتعرّف خبره من شيء وجده . وموقعها على دجلة في المكان المتوسط بين درب سليمان[5] ودرب دجلة ، وملاصقة لدار أبي الفتح البريدي . وصعد بعض غلماننا لايذانه بحضورنا . فدق الباب دقاً عنيفاً حتى ضجر من الدق ، وضجرنا من الصبر . قال : وكان له سنور[6] أبيض يسميه

---

(١) الحالق : الجبل المرتفع .

(٢) في وفيات الأعيان (١ : ٥٠ ـ ٥١) : « انزلت آمالي بغير الخالق » . ونقل ابن خلكان ان الشيخ تاج الدين الكندي روى للمتنبي هذين البيتين بالاسناد الصحيح المتصل به . وقال ابن خلكان : انهما لا يوجدان في ديوانه . ونقل ابن شاكر في عيون التواريخ كلام ابن خلكان ، ثم قال : والصحيح ان هذين البيتين لأبي الفرج الأصفهاني . أنظر : (مقدمة الأغاني ، طبعة دار الكتب المصرية) .

(٣) معجم الأدباء (٥ : ١٥٢ ـ ١٥٤) .

(٤) هو الابن الثالث لأبي اسحاق ابراهيم الصابىء . أما الولدان الآخران فهما الحسن وسنان .

(٥) درب سليمان ببغداد : أنظر « الذيل الثاني » .

(٦) راجع مقالنا «التبصر بتجارة السنانير» في جريدة البلاد (العددان ٢٢٦٣و٢٢٦٨ ، بغداد ١٩٤٤) .

يقفا ، ومن رسمه إذا قرع الباب قارع أن يخرج ويصيح ، إلى أن يتبعه غلام أبي الفرج لفتح الباب ، أو هو نفسه ، فلم نر السنور في ذلك اليوم ، فأنكرنا الأمر وازددنا تشوّقاً إلى معرفة الخبر . فلما كان بعد أمد طويل صاح صائح ان (نعم) ، ثم خرج أبو الفرج ويده متلوثة بما ظنناه شيئاً كان يأكله . فقلنا له : عققناك بأن قطعناك عما كان أهمّ من قصدنا اياك . فقال : لا والله يا سادتي ما كنتُ على ما تظنون ، وانما لحق يقفا – يعني سنوره – قولنج ، فاحتجتُ إلى حقنه[1] ، فأنا مشغول بذلك . فلما سمعنا قوله ورأينا الفعل في يده ، ورد علينا أعظم مورد من أمره ، لتناهيه في القذارة إلى ما لا غاية بعده ، وقلنا : ما يجوز أن نصعد إلى عندك فنعوقك عن استتمام ما أنت فيه ؛ وانما جئناك لتعرّف خبرك ، وقد بلغنا ما أردناه ، وانصرفنا »[2].

* * *

« وقال حفيده هلال بن المحسن في أخبار الوزراء » : « حدثني أبو اسحاق جدي ، قال : لما توفي أبو الحسين هلال[3] أبي ، جاءني أبو محمد المهلبي معزياً به ، فحين عرفتُ خبره في تقديمه مشرعة داري[4] الشاطئة بالزاهر ، بادرتُ لتلقيه واستعفيته من الصعود ، فامتنع من الاجابة إلى ذلك ، وصعد وجلس ساعة يخاطبني فيها بكل ما يقوّي النفس ويشرح الصدر ، ويصف والدي ويقرظه لي

---

(١) هذا أمر يجدر التنويه به ، اذ عرف حقن الحيوان منذ المائة الرابعة للهجرة ، ولعله عرف قبل ذلك .

(٢) معجم الأدباء (٥ : ١٥٤) .

(٣) هو والد أبي اسحاق ابراهيم بن هلال الصابىء الكاتب . كان طبيباً حاذقاً عاقلا صالح العلاج متفنناً ، خدم الناس بصناعته وتقدم عند أجلاء بغداد وخالطهم بصناعته . وخدم أمير الأمراء توزون (المتوفى سنة ٣٣٤ هـ) . راجع ترجمته في اخبار العلماء (ص ٣٥٠) ، وتاريخ مختصر الدول لابن العبري (ص ٢٩٠ — ٢٩١ ، طبعة صالحاني . بيروت ١٨٩٠) .

(٤) دار أبي اسحاق الصابىء ببغداد : راجع « الذيل الثالث » .

[بقوله] : ما مات من كنتَ له خلفاً ، ولا فقد من كنتَ منه عوضاً ، ولقد قرت عين أبيك بك في حياته ، وسكنت مضاجعه إلى مكانك بعد وفاته ، فقبلتُ يده ورجله وأكثرتُ من الثناء عليه والدعاء له . وحضرتني في الحال ثلاثة أبيات أنشدته اياها ، وهي :

لو وثقنا بان عمرك يمتـــد بأعمارنا قتلنا النفوسا

قد تركت الموت الزؤام مغيظا يتلظى لجرحه كيف يوسا

فقدت عندنا المصيبة نعمى بأياديك وهي من قبل بوسا

ثم نهض وأقسم علينا ألا يتبعه أحد منا ، وأنفذ إلي في بقية ذلك اليوم خمسة آلاف درهم ، فقال : استعن بهذا على أمرك ، ولم يبق أحد من أهل الدولة إلا جاءني بعده معزياً ، ثم اجتاز بي من الغد في طيّاره[1] ، ووقف واستدعاني وأمرني بالنزول معه ، فبعد جهد ما تركني بقية اليوم »[2].

* * *

(. . . ثم حضر الجماعـــة المترشحون الخاطبون ، وكل منهم يعتقد انه المختار المقلد [للوزارة] ، وجلسوا في خركاه[1] ينتظرون الاذن ، ثم أوصل القوم ووقفوا على مراتبهم ، ودخل أبو محمد [المهلبي] بعدهم ، وقام في أخرياتهم ، فلما تكامل الناس أمر معز الدولة الى أبي علي الحسن بن ابراهيم الخازن قولا لم يسمع ، فمشى الى أبي محمد المهلبي وقبل يده وخاطبه

---

(١) الطيار ، ويقال فيه الطيارة : ضرب من السفن النهرية القديمة ، أكثر ما اتخذ في العراق لركوب العظماء .

(٢) معجم الأدباء (١ : ٣٢٨) .

(٣) الخركاه : من آلات السفر . وهي بيت من خشب مصنوع على هيئة مخصوصة ، ويغشى بالجوخ ونحوه ، تحمل في السفر لتكون في الخيمة للمبيت في الشتاء لوقاية البرد . وكان التركمان يصنعونها من اللبد ويسمونها (قره او) أي البيت الأسود . أنظر : رحلة ابن بطوطة (= تحفة النظار ٢ : ٢٩٩ ـ ٣٠٠ ، طبع باريس) ، وصبح الأعشى (٢ : ١٣١) ، والألفاظ الفارسية المعربة ، لأدي شير (ص ٥٣ ـ ٥٤ ، بيروت ١٩٠٨) .

بالأستاذية[١] على ما كان أبو جعفر[٢] يخاطب به ، وحمله الى الخزانة ، فخلع عليه القباء[٣] والسيف والمنطقة[٤]) . «قال هلال [في كتاب الوزراء] » . « **قال جدي : فوالله** يا بنيّ ، لقد رأيتُ الناس على طبقاتهم ممن أسميناه ، ومن يتلوهم من الجند وغيرهم ، والسعيد منهم من وصل إلى يده فقبّلها . وعاد أبو محمد إلى حضرة معز الدولة فخاطبه بالتعويل عليه في تقلد وزارته وتدبير دولته ، وشكره أبو محمد شكراً أطال . وخرج منصرفاً إلى داره ، فقدّم له شِهريّ[٥] بمركب[٦] ذهب . وسار أبو محمد سبكتكين[٧] الحاجب بين يديه ، والقواد والناس في موكبه ،

---

(١) كانت المخاطبة بـ « الاستاذية » للتشريف والتقدير على رسم أصحاب الدواوين يوم ذاك .

(٢) أبو جعفر محمد بن أحمد بن محمد الصيمري ، كاتب معز الدولة ووزيره . توفي سنة ٣٣٩ هـ ، فقلد مكانه المهلبي .

(٣) القباء : ثوب يلبس فوق الثياب . يسميه أهل العراق (الزبون) ، وأهـل مصر وسورية (القنباز) . جمعه أقبية . وصار القباء لباساً رسمياً لرجال الدولة في أوائل المائة الرابعة للهجرة ، حتى كان لا يدخل المقصورة في يوم جمعة الا من كان من الخواص المتميزين بالأقبية السود . وكان القباء ايضاً من جملة لباس الجند . وكان القواد يلبسون الأقبية الفارسية القصيرة .

(٤) المنطقة : ما يشد في الوسط . وعنها يعبر أهل زماننا بـ « الحياصة » . ولم تجر عادة لملوك الزمان بشد منطقة ، انما يلبسها الملك أو الخليفة للأمراء والوزراء عند الباسهم الخلع والتشاريف ، وهي تختلف باختلاف الرتب ، فمنها ما يكون من ذهب مرصع بالفصوص ، ومنها ما ليس كذلك .

(٥) الشهري ، جمعه الشهاري : الفرس البلدي الفاره النادر .

(٦) المراد بالمركب هاهنا : السرج وما يتعلق به . وأعلى المراكب قيمة ما كانت مذهبة مرصعة بالجواهر النفيسة ، تبرز بأجلى زينتها في أيام المواكب . وقد غالى هؤلاء في اتخاذ مراكب الذهب . وقيل ان سبكتكين حاجب معز الدولة خلف بعد وفاته مائة وثلاثين مركباً ذهباً ، منها خمسون وزن كل واحد ألف مثقال .

(٧) قائد تركي . كان حاجب معز الدولة . خلع عليه الطائع لله في سنة ٣٦٣ هـ ، الخلع السلطانية وطوقه وسوره ، وعقد له لواء الامارة ، ولقبه نصر الدولة .

توفي سنة ٣٦٤ هـ ، وكانت مدة امارته شهرين وثلاثة عشر يوماً . ودفن في تربة ابنته بالحرم . وخلف أموالا طائلة وآلات هائلة . واشتهرت داره التي بأعلى =

وذلك لثلاث بقين من جمادى الأولى سنة ٣٣٩ ، ثم جددت له الخلع من دار الخلافة بالسواد[1] والسيف والمنطقة ، فأثقلته هذه الخلع ، وكان ذا جثة ، والزمان صيف ، وقد مشى في تلك الصحون الكثيرة ، فسقط عند دخوله إلى حضرة المطيع لله ووقع على ظهره ، فأقيم وظن انه يحصر لما جرى ، فقال يا أمير المؤمنين:

خرسنوه وما درى ما خراسا ن بلبس القباء والموزجين[2]

ثم أكثر الشكر وأطال فيه ، فاستحسنت منه هذه البديهة على تلك الصورة ، وركب إلى داره وجميع الجيش معه ، وحجاب الخلافة ومعز الدولة بين يديه . فلما كانت في سنة ٣٥١ ، لهج معز الدولة بذكر عمان ، وحدث نفسه بأخذها ، وأغراه بذلك المعروف بكرك أحد النقباء الأصاغر ، فأمر المهلبي بالخروج اليها ، فدافعه ووضع عليه من يزهده فيها ، فلم يزدد إلا لجاجاً . وكان أبو محمد [آذى] حاشية معز الدولة ، فانه [كان] ألزمهم تقسيطاً في نفقة البناء الذي استحدثه من غير أن يخرج بأحد منهم إلى عسف ، فأحفظهم فعله ، فبعثوا معز الدولة على اخراجه ، فلما ألح عليه ضمن له أن يستخرج من هؤلاء جملة كبيرة يستعين بها في هذا الوجه ، فمكنه من ذلك بعد أن شرط عليه أخذ العفو ، وتجنب الاجحاف ، فقبض على جماعة وأخذ منهم ألفي ألف درهم ، منها خمسمائة ألف

= المحرم — في حدود أرض « المجيدية » اليوم — ، فأصبحت من بعد دار المملكة المعزية .

(١) السواد ، هنا : جبة سوداء تغطي سائر الثياب . وكان السواد — أي اللون الأسود — شعار بني العباس ، وكان أشياعهم يرتدونه ، ولذلك جاء اسمهم في التاريخ بـ « المسودة » . وكانت الخلع السلطانية في ايام بني العباس لا تخلو من سواد . وفي التاريخ أنباء كثيرة في هذا الشأن .

(٢) في المطبوع من معجم الأدباء « الموزخين » بالخاء المعجمة ، وصوابه بالجيم . و « الموزج : الخف ، تعريب موزه الفارسية ، والموق والموقان لغتان فيه » . راجع : شفاء الغليل للخفاجي (ص ٢٠٦ ، المطبعة الوهبية . مصر ١٢٨٢ هـ) ، والألفاظ الفارسية المعربة (ص ١٤٥) .

درهم من أبي علي الحسن بن ابراهيم النصراني الخازن ، ومعز الدولة على غاية العناية بأمره والثقة بأنه لا مال له . وأظهر أبو علي الفقر وسوء الحال ، وانه اقترض المال الذي أداه من الناس، فشق ذلك على معز الدولة وظنه حقاً . واعتل أبو علي عقيب ذلك ومات، فاعتقد معز الدولة ان أبا محمد قتله لما عامله به، وأقبل عليه يلومه ويحلف له انه يقيده به ، فلم يلتفت أبو محمد إلى ذلك ، وبادر إلى دار أبي علي وقبض على خادم له صغير كان يختصه ويثق به ، ومناه ووعده ، فدله على [دفين] كان لأبي علي في الدار ، فاستخرج منه عدة قماقم[1] فيها نيف وتسعون ألف دينار ، وحملها[2] إلى معز الدولة ، وقال له : هذا قدر أمانة خازنك الذي ظننت أني قد قتلته باليسير الذي أخذته لك منه ، وما فيه درهم من مالك ، وانما اقترضه من أولادك وحرمك وغلمانك ، وشنع عليك . ثم تتبع أسبابه وأخذ منهم تمام مائتي ألف دينار . وقدر أبو محمد ان معز الدولة يمكنه من الحاشية الباقين ويعفيه من الخروج فلم يفعل . وجدّ به جداً شديداً في الانحدار ، فانحدر في جمادى الآخرة من سنة ٣٥٢ ، وتمادت أيامه بالبصرة للتأهب والاستعداد ، وامتنع العسكر المجرد من ركوب البحر ، فبلغ معز الدولة ذلك ، فاتهمه بانه بعث العسكر على الشغب ، فكاتبه بالجد والانكار عليه في توقفه ، وإلزام المسير ، ووجد أعداؤه طريقاً للطعن عليه ، واغتنموا تنكر معز الدولة عليه، وأقاموا في نفسه انه انحدر من مدينة السلام وهو لا يعتقد العود

---

(١) القمقم - ورد أحيانا قمقوم - ، هو رومي معرب كُكُم ، بكافين عجميتين. بمعنى الجرة، وايضاً آنية معروفة من نحاس وغيره ، يسخن فيها الماء ، ويكون ضيق الرأس . ومنه استعير لاناء صغير من نحاس أو فضة أو صيني أو زجاج ، يجعل فيها ماء الورد ونحوه، يرش منها على الضيف وغيره . ولقد استظرف من قال في هذا :

أتمقم ماء الورد أكبر منة ... ادمم ثقيل مثل قطعة جلمود

تقول له قم قم فان دمت جالساً ... فعما قليل سوف تطرد بالعود

(١) راجع هذه الأخبار في تجارب الأمم (٢ : ١٨٥ - ١٨٨ طبعة آمدروز . القاهرة ١٩١٥).

اليها ، وانه سيغلب على البصرة كما تغلب البريديون[1] ، وان العسكر الذي معه والعشائر هناك على طاعة له ، وعظموا عنده أمواله ، فتدوّخ معز الدولة بأقاويلهم، وعرف أبو محمد ذلك ، فأطلق لسانه فيهم وخرق الستر بينه وبينهم ، وتطابقت الجماعة في المشورة على معز الدولة بالقبض عليه والاعتياض[2] بأمواله عما يقدر حصوله من عمان ، وجعلوه على ثقة من انهم يسدون مسده ، فمال إلى قولهم ، وكتب إلى أبي محمد يعفيه من الاتمام إلى عمان ويرسم له الانكفاء إلى مدينة السلام . وعلم أبو محمد بالحال ، ووطن نفسه على الصبر وركوب أصعب المراكب فيه ، وأن يدخل فيما دخل فيه القوم ، ويتولى هو مصادرة نفسه وأصحابه وخصومه وأعدائه ، وكان ملياً بذلك ، فهجمت عليه علته[3] التي مات منها ، وتردد بين افاقة ونكسة إلى أن وردت الكتب باليأس منه ، فأنفذ معز الدولة حينئذ أحد ثقاته على ظاهر العيادة له ، وباطن الاستظهار على ماله وحاشيته ، فألفاه في طريقه محمولاً في محفّة[4] كبيرة مملوءة بالفرش الوثيرة ومعه فيها من يخدمه ويعلله ، ويتناوب في حملها جماعة من الحمالين . فلما انتهى الى زاوطا[5]، قضى نحبه ومضى لسبيله ، وسقط الطائر بمدينة السلام بذلك ، فقبض على أسبابه وحرمه وولده ، فصودرت الجماعة ووقع السرف في الاستقصاء عليهم ، فلم يظهر لأبي محمد مال صامت ، ولا ذخيرة باطنة ، وبانت لمعزّ الدولة نصيحته وبطلان

---

(١) البريديون : أنظر « الذيل الرابع » .

(٢) الاعتياض : أخذ العوض .

(٣) سبب وفاة المهلبي : أنظر « الذيل الخامس » .

(٤) المحفة - بكسر اوله، وبفتح - : مركب للنساء كالهودج، أو سرير يحمل عليه المريض أو المسافر ، ويسمى بالفارسية « تخت روان » ومعناه الذهاب والمجيء . انظر تاج العروس (٦ : ٧٣) ، والألفاظ الفارسية المعربة (ص ٣٤) .

(٥) زاوطا : في معجم البلدان (٢ : ٩١٠ ، طبعة وستنفلد في ليدك) ، ومراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (١ : ٥٠٣ ، طبعة جوينبول في ليدن) : « بليدة قرب الطيب بين واسط وخوزستان والبصرة وقد نسب اليها قوم من الرواة، وربما قيل زاوطة » .

التكثيرات عليه ، وقد كان يصل اليه من حقوق الرقاب في ضياعه وما يأخذه من اقطاعه ، ويستثني به على عماله مال كثير يستوفيه جهراً من غير أن توقع فيه أمانة ، ويصرف جميعه في مؤونته ونفقاته وصلاته وهباته ، والى هدايا جليلة كان يتكلّفها لمعزّ الدولة في أيام النواريز(١) والمهاريج(٢) ، وعطف معزّ الدولة على الجماعة يطالبهم بالضمانات التي ضمنوها ، فاحتجوا بوفاته ووعدوا بالبحث عن ودائعه ، وتدافعت الأيام واندرج الأمر ، فكان الذي صح من مال أبي محمد ومال حرمه وأولاده وأسبابه : خمسة آلاف ألف درهم ، فيها الصامت والناطق والباطن(٣) ، وأثمان الغلات وارتفاع الأملاك والأموال ، وأموال جماعة من التجار أُخذت بالتأويلات(٤) . وكانت وفاته سبباً لصيانته عن عاجل ابتذالهم له وصيانتهم عن آجل بلواهم به . وكانت مدة وزارته ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر . ووفاته في يوم السبت لثلاث ليالٍ بقين من [شعبان] سنة ٣٥٢ .

ولأبي محمد :

قضيتُ نحبي فسر قوم	حمقى لهم غفلة ونوم
كأن يومي عليّ حتم	وليس للشامتين يوم(٥)

* * *

---

(١) و (٢) راجع معنى هاتين اللفظتين في « الذيل السادس » .

(٣) الصامت من المال : الذهب والفضة . والناطق منه . الحيوان من الابل والغنم . يقال : ما له صامت ولا ناطق ، اي ليس له شيء . والباطن من المال : الخفي منه .

(٤) يعني بالتأويلات هاهنا ، ان الوزير المهلبي أخذ أموالا طائلة من جماعة من الناس بطرق وأساليب شتى ، اكثرها غير مشروعة . انظر مثلا : تجارب الأمم (٢ : ٤٠٧) .

(٥) معجم الأدباء (٣ : ١٨٦ — ١٩٠) .

« وفي كتاب الوزراء لابنه [هلال الصابي] ، قال الحسن[1] : حدثني والدي، وقال هلال : حدثني جدي، واللفظ يزيد وينقص ، والاعتماد على ما في كتاب هلال لأنه أتم » .

« قال أبو اسحاق : كنتُ في مجلس الوزير أبي محمد المهلبي في بعض أيام الحداثة جالساً في مجلس أنسه ، وبين يديه أبو الفضل العباس[2] بن الحسين ، وأبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن ، وأبو علي الحسين بن محمد الأنباري وأبو الفرج بن أبي هشام ، وغيرهم من خلفائه وكتّابه، وقد أخذ الشراب من الجماعة وزاد بهم على حد النشوة، وكانت لي في ذلك مزية ، لأنني شربت معه أرطالاً[3] عدة، إذ حضر رسول الأمير معز الدولة يذكر ان معه مهماً . فقال أبو محمد : يدخل ، فدخل وقال : الأمير يقول تكتب عني الساعة كتاباً الى محمد بن الياس ، صاحب كرمان ، تخطب فيه ابنته لبختيار[4] . فقال الوزير : هذا كتاب يحتاج الى تأمل وتثبت وما في الكُتّاب من فيه مع السكر فضل له . ثم التفت الى أبي علي الأنباري، فقال له : تتمكن يا أبا علي من كتبه؟ فقال : أمّا الليلة وعلى مثل هذه

---

(١) الحسن بن ابراهيم بن هلال بن زهرون الصابيء ، يكنى بأبي علي . هو والد هلال . كان أديباً فاضلا بارعاً ، لقي الأدباء والعلماء وأخذ عنهم ، كأبي سعيد السيرافي ، وأبي علي الفارسي، وأبي عبيد الله المرزباني . وله شعر حسن. كان بوجهه شامة حمراء يعرف بصاحب الشامة . توفي في ثامن محرم سنة ٤٠١ هـ .

(٢) هو أبو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي ، صهر الوزير المهلبي . استوزره عز الدولة البويهي في سنة ٣٥٧هـ، فبقي في وزارته سنتين وشهرين وثلاثة أيام، وعزله بأبي الفرج محمد بن العباس بن فسانجس ، فوزر له ثلاثة عشر شهراً وعشرة أيام ، ثم أعاد أبا الفضل الى الوزارة ، فصادر الناس وظلم كثيراً ، واحرق الكرخ ، فكثر الدعاء عليه فقبض عليه عز الدولة . وقتل في شهر ربيع الآخر سنة ٣٦٣ هـ .

(٣) الأرطال ، واحدها الرطل . وهو هنا وعاء يوضع فيه الشراب ونحوه . أنظر : الألفاظ الفارسية المعربة (ص ٧٣) .

(٤) بختيار أبو منصور عز الدولة بن معز الدولة البويهي . ملك بغداد بعد موت أبيه في سنة ٣٥٦ هـ ، خلع المطيع عليه وطوقه وسوره وكتب عهده ، ولقبه عز الدولة ، فطمع ابن عمه عضد الدولة في مملكة بغداد ، فخاصمه ، فقتل بختيار ، وكان ذلك في سنة ٣٦٧ هـ ، وسنه يومئذ ست وثلاثون سنة وكانت مدة امارته احدى عشرة سنة وشهوراً .

الحالة والصورة فلا ، ورآني الوزير مصغياً الى القول ، متشوفاً لما يرسمه لي في ذلك . فقال: تكتبه يا أبا اسحاق ؟ فقلت : نعم . قال: افعل . فقمت الى صُفّة[1] يشاهدني فيها ، واستدعيت دواتي ودرجاً[2] منصورياً[3] ، وكتبت كتاباً اقتضبته بغير روية ولا نسخة ، والوزير والحاضرون يلاحظونني ويعجبون من اقدامي ثم اقتضابي واطالتي ، فلما فرغت منه ، أصلحته وعنونته وحملته اليه ، فوقف عليه ووجهه متهلل في أثناء القراءة والتأمل ، ورمى به إلى أبي علي بن الأنباري ، ثم قال للجماعة : هذا كتاب حسن دال على الكفاية المبرزة ، ولو كتبه صاحبه مروياً لكان عجيباً ، فكيف إذ يكتبه منتشياً مقتضباً ، ولكنه كاتبي وصنيعتي . قم يا أبا اسحاق من موضعك واجلس هاهنا حيث أجلستك الكفاية ، وأومأ الى جانب أبي الغنائم ابنه . فقبلت يده ورجله ، وشكرته ودعوت له ، وجلست بحيث أجلسني ، وشرب لي ساراً . ثم استدعى حاجبه ، وقال : يقدّم دابته إلى حيث يقدّم دواب خلفائي ، ويوفى من الاكبار

---

(١) الصفة : بيت صيفي يكون مسقوفاً بجريد النخل ونحوه .

(٢) الدرج : بالفتح ، الذي يكتب فيه . جمعه دروج . قال القلقشندي (صبح الأعشى ١ : ١٣٨) : « المراد بالدرج في العرف العام : الورق المستطيل المركب من عدة أوصال ، وهو في عرف الزمان ، عبارة عن عشرين وصلا متلاصقة لا غير » .

(٣) ذكر القلقشندي (صبح الأعشى ٦ : ١٩١) مقادير الورق المستعمل في دواوين الانشاء بالأبواب السلطانية بالديار المصرية ، في حدود المائة التاسعة للهجرة . قال : « القطع المعروف بالمنصوري ، وعرضه تقدير ربع ذراع [بذراع القماش المصري] . وفيه تكتب مناشير المماليك السلطانية ومقدمي الحلقة ، ومناشير عشرات التركمان وبعض المماليك الشامية ، وبعض التواقيع وما في معنى ذلك » .

ومن أصنافه أيضا «قطع الثلثين من المنصوري »: (صبح الأعشى ٩ : ٢٧٢) : « وهو لأجل الولايات السلطانية لأرباب السيوف وبعض أرباب الأقلام ، ولا يفتتح فيها الا بالحمد » .

ومنه أيضاً « قطع العادة المنصوري » : (صبح الأعشى ١١ : ٧٤) : «وفيه تكتب صغار التواقيع والمراسيم التي لأصحابها بعض ميزة لا تنتهي بهم الى رتبة قطع الثلث » .

والاكرام ما يوفونه ، فحسدني على ذلك كل من كان حاضراً ، ووفوني من الغد حكم المساواة في المخاطبة والمعاملة ، واستشعروا عندها أسباب العداوة والمنافسة، ثم قلدني دواوين الرسائل[1] والمظالم[2] والمعاون[3] تقليداً سلطانياً كتب به عن المطيع لله الى أصحاب الأطراف »[4] .

* * *

« وقال أبو الحسين هلال بن الحسن الصابيء [في كتاب الوزراء] » : « حدثني أبو علي[5]، قال: لما أراد الوزير أبو محمد المهلبي نقل سنة خمس وثلثمائة الهلالية[6]، أمر أبا اسحاق والدي وغيره من كتّابه في الخراج والرسائل، بانشاء كتاب عن المطيع لله في هذا المعنى . فكتب كل منهم ، وكتب والدي الكتاب الموجود في رسائله[7] ، وعُرضت النسخ على الوزير ، فاختاره منها ، وتقدّم بأن يكتب الى أصحاب الأطراف ، وقال لأبي الفرج بن هشام خليفته : أكتب إلى العمال بذلك كتباً مخففة، وانسخ في أواخرها هذا الكتاب السلطاني، فغاظ أبا الفرج وقوع التفضيل والاختيار لكتاب والدي ، وقد كان عمل نسخة اطرحت في جملة ما اطرح ، وكتب : (وقد رأينا نقل سنة خمسين إلى احدى وخمسين ، فاعمل على ذلك) ، ولم ينسخ الكتاب السلطاني ، وعرف الوزير [أبو محمد] ما كتب به أبو الفرج ، فقال له : لماذا أغفلت نسخ الكتاب السلطاني في آخر الكتب

---

(١) ديوان الرسائل : أنظر « الذيل السابع » .

(٢) ديوان المظالم : أنظر « الذيل الثامن » .

(٣) ديوان المعاون : أنظر « الذيل التاسع » .

(٤) معجم الأدباء (١ : ٣٤٢ ـ ٣٤٣) .

(٥) أبو علي ، هو المحسن والد هلال الصابيء .

(٦) أسهب القلقشندي (صبح الأعشى ١٣ : ٥٤ـ٧٩) في الكلام على نقل هذه السنة وغيرها من السنوات ، وصور ما يكتب في ذلك عن الخلفاء .

(٧) رسائل الصابيء (ص ٢٠٩ ـ ٢١٥) . وقد نقلها القلقشندي (صبح الأعشى ١٣ : ٦٥ ـ ٧٠) ، والمقريزي (الخطط ٢ : ٤٦ ـ ٤٩) .

الى العمال واثباته في الديوان ؟ فأجاب جواباً علل فيه فقال له : يا أبا الفرج ، ما تركتَ ذلك إلا حسداً لأبي اسحق [على كتابه] ، وهو والله في هذا الفن أكتب أهل زمانه ، فأعد الآن الكتب وانسخ الكتاب في أواخرها »[1] .

* * *

« قال هلال [في كتاب الوزراء] » : وحدثني أبو اسحاق جدي ، قال : صاغ أبو محمد[2] دواة ومرفعاً وحلاها حلية كثيرة مشرقة ، وكانت ذراعاً وكسراً في عرض شبر ، وكذلك كانت آلاته عظاماً ، حتى ان مخادّ دسته مثل مساند الدسوت إلى ما يجري هذا المجرى من آلات الاستعمال ، وقدمت الدواة بين يديه في مرفعها وأبو أحمد الفضل[3] بن عبد الرحمن الشيرازي، وأنا إلى جانبه ، فتذاكرنا سراً حسن الدواة وجلالتها وعظمها ، ثم قال لي : ما كان أحوجني اليها لأبيعها واتسع بثمنها. فقلتُ : وأي شيء يعمل الوزير؟ قال: يدخل في حرّ أمه. وسمع أبو محمد ما جرى بيننا بالاصغاء منه الينا ، وذهب ذاك علينا ، فاجتمعتُ مع أبي أحمد من غد ، فقال لي : عرفتَ خبر الدواة ؟ فقلتُ : لا . قال : جاءني البارحة رسول الوزير ومعه الدواة ومرفعها ، ومنديل فيه عشر قطع ثياباً حساناً ، وخمسة آلاف درهم ، وقال : الوزير يقول أنا عارف بأمرك في قصور المواد عنك ، وتضاعف المؤن عليك ، وأنت تعرف شغلي وانقطاعي به عن كل حق يلزمني ، وقد آثرتك بهذه الدواة لما ظننته من استحسانك اياها اليوم عند مشاهدتك، وحملت معها ما تجدد به كسوتك وتصرّفه في بعض نفقتك . وانصرف

---

(١) خطط المقريزي (٢ : ٤٤ ـ ٤٥) ، وصبح الأعشى (١٣ : ٥٩ ـ ٦٠) .

(٢) أي الحسن بن محمد المهلبي .

(٣) هو كاتب المستكفي بالله ، استكتبه على خاص أمره في سنة ٣٣٣ هـ ، وكان ذلك في أيام معز الدولة البويهي ، يوم زال كل شيء عن الخليفة ، حتى لم يبق له وزير ، انما كان له كاتب يدبر اقطاعه واخراجاته، وصارت الوزارة لمعز الدولة يستوزر لنفسه من يريده . قبض على أبي الفضل سنة ٣٣٤ هـ عند خلع المستكفي بالله .

الرسول وبقيتُ متحيراً متعجباً من اتفاق ما تجارينا به أمس وحدوث هذا على اثره . وتقدم أبو محمد بصياغة دواة أخرى على شكلها ومرفع مثل مرفعها ، فصيغت في أقرب مدة ، ودخلنا إلى مجلسه وقد فُرِغ منها وتُركت بين يديه وهو يوقع منها . ونظر أبو محمد إليّ والى أبي أحمد ، ونحن نلحظها ، فقال : هيه ، من منكما يريدها بشرط الاعفاء من الدخول ؟ فخجلنا وعلمنا انه كان قد سمع قولنا ، وقلنا : بل يمتع الله مولانا وسيدنا الوزير بها ، ويبقيه حتى يهب ألف مثلها ، اللهم أنت جدد الرحمة والرضوان عليه في كل ساعة ، بل لحظة ، بل لمحة ، وعلى كل نفس شريفة وهمة عالية ، انك العليّ تحب معالي الأمور وأشرافها وتبغض سفسافها »[1].

* * *

« وتحدث أبو الحسين هلال بن المحسن [في كتاب الوزراء] ، قال » : « حدث القاضي أبو بكر بن عبد الرحمن بن خزيعة[2] ، قال : كنتُ مع الوزير المهلبي بالأهواز ، فاتفق أن حضرتُ عنده في يوم من شهر رمضان ، والزمان صائف والحر شديد ونحن في خَيْـش[3] بارد ، فسمع صوت رجل ينادي على الناطف[4] . فقال : أما تسمع أيها القاضي صوت هذا البائس في مثل هذا الوقت والشمس

---

(١) معجم الأدباء (٣ : ١٩٠ ـ ١٩١) .

(٢) يغلب على الظن ان هذه التسمية محرفة ، وأصلها « قريعة » وهو لقب جد القاضي أبي بكر محمد بن عبد الرحمن بن قريعة البغدادي ، قاضي السندية وغيرها من أعمال بغداد ، ولي الحسبة ببغداد . وكان من احدى عجائب الدنيا في سرعة البديهة بالجواب عن جميع ما يسأل عنه في أفصح لفظ وأملح سجع . وهو صاحب الخطبة العجيبة التي يقول فيها : « الحمد لله الذي تين فوزر ، وعنب فرزق ، وخوخ فشطب ... » وكان مختصاً بحضرة الوزير المهلبي منقطعاً اليه . وله أخبار مستفيضة ظريفة . توفي في سنة ٣٦٧ هـ ، عن خمس وستين سنة .

(٣) الخيش : نسيج خشن من الكتان ، جمعه خيوش وأخياش . والخياش (كخباز) : بائع الخيش .

(٤) الناطف : نوع من الحلواء .

على رأسه ، وحرها تحت قدمه ، ونحن نقاسي في مكاننا هذا البارد ما نقاسيه من الحر . وأمر باحضاره ، فأحضر ، فرآه شيخاً ضعيفاً عليه قميص رث وهو بغير سراويل ، وفي رجله تاسومة[1] مخلقة ، وعلى رأسه مئزر ومعه نَبيجة[2] فيها ناطف لا تساوي خمسة دراهم . فقال له : ألم يكن لك أيها الشيخ في طرفي النهار مندوحة عن مثل هذا الوقت ؟ فتنفس وقال : ما أهون على الراقد سهر الساهد ، وقال :

ما كنتُ بائع ناطف فيما مضى لكن قضت لي ذاك أسباب القضا
وإذا المعيل تعذرت طلباته رام المعاش ولو على جمر الغضا

فقال له الوزير : أراك متأدباً ، فمن أين لك ذلك ؟ قال : اني أيها الوزير من أهل بيت لم يكن فيهم مَن صناعته ما ترى ، وأسرّ اليه انه من ولد معن بن زائدة . فأعطاه مائة دينار وخمسة أثواب ، وجعل ذلك رسماً له في كل سنة »[3] .

* * *

« قال [هلال الصابىء في كتاب الوزراء] » : «وحدث ابراهيم بن هلال، قال: كان أبو محمد المهلبي يناصف العِشرة أوقات خلواته ويبسطنا المزح الى أبعد غاية، فاذا جلس للعمل كان امرءاً وقوراً ومهيباً ومحذوراً ، آخذاً في الجد الذي لا يتخونه نقص ولا يتداخله ضعف . فاتفق أن صعد يوماً من طيَاره الى داره وقد حقنه البول وما كان يعتريه من سلسه[4] ، فقصد بعض الأخلية فوجده

---

(١) التاسومة : ضرب من الأحذية : (الألفاظ الفارسية المعربة ، ص ٣٣) .

(٢) في المطبوع « نبيخة » بالخاء المعجمة ، وهو تصحيف. والنبيجة على ما حققه الاستاذ العلامة حبيب زيات (لغة العرب ٦ [بغداد ١٩٢٨] ص ٣٣٧) : الطبق الذي تفرش عليه الازهار والثمار بين أيدي الباعة، وهو يتخذ من الخوص أو الخيزران . جمعه : النبابيج

(٣) معجم الأدباء (٣ : ١٩٢ - ١٩٣) .

(٤) سلس البول – بكسر اللام – : اذا كان لا يستمسكه . وقد سلس بوله : اذا لم يتهيأ له أن يمسكه .

مقفلاً ، وكذلك كانت عادته جارية في أخلية داره ، حفاظاً لها عن الابتذال ، فأبى أن يدعو الفرّاش ويحضر [مبولة] ، فقال لي متبادراً على نفسه :

فهبك طعامك استوثقت منه ... فما بال الكنيف عليه قفل

فقلت : لعمري انه موضع عجب، وإذا وقع الاحتياط في الأصل فقد استغني عنه في الفرع ، فضحك وقال : أوسعتنا هجاء . فقلت : وجدت مقالاً . فقال : اسكت يا فاعل يا صانع . قال أبو اسحاق [الصابىء] : وأجلسني معز الدولة لأكتب بين يديه ، وأبو محمد المهلبي قائم ، فحجبني عن الشمس . فقال : كيف ترى هذا الظلّ ؟ فقلت : ثخين . فقال : واعجباً احسن وتسيء ، وضحك »[1].

* * *

« ومن كتاب الوزراء لهلال بن الحسن » : « وحدّث أبو الفرج عليّ بن الحسين الأصفهاني ، قال : سكر الوزير أبو محمد المهلبي ليلة ولم يبق بحضرته من ندمائه غيري . فقال لي : يا أبا الفرج : أنا أعلم انك تهجوني سراً فاهجني الساعة جهراً . فقلتُ : الله الله أيها الوزير فيّ، إن كنت قد مللتني انقطعتُ ، وإن كنت تؤثر قتلي فبالسيف إذا شئتَ . قال : دع ذا ، لا بد أن تهجوني . وكنتُ قد سكرتُ ، فقلت : اين بغل بلولب .

فقال في الحال مجيزاً :

في حرم المهلبي .

هات مصراعاً آخر . فقلتُ : الطلاق لازم للأصفهاني إن زاد على هذا وإن كان عنده زيادة »[2].

* * *

---

(١) معجم الأدباء (٣ : ١٩١) .

(٢) كذا ما في معجم الأدباء (٥ : ١٥٦) . وفي بدائع البدائه لعلي بن ظافر الازدي (ص ٣٧ ، بولاق ١٢٧٨ هـ) ، قوله : « ... وكنت قد سكرت، فقلت : أير بغل مكوكب . ببدر ، فقال : في حر ام المهلبي ، هات مصراعاً آخر ... » .

أبو الفضل محمد بن الحسين بن العميد [1]

« ومن كتاب الوزراء لهلال بن المحسن » ، حدثني أبو السري الأصبهاني ابن اخت أبي بكر الخياط الأصبهاني ، قال: كان أبو بكر خالي، يحفظ دواوين العرب ويقوم عليها قياماً تاماً ، ويتصرّف في كتاب سيبويه [2] ومسائل الأخفش [3] تصرفاً قوياً . فحدثني أن أبا الفضل بن العميد كان يقرأ عليه كتاب الطبائع [4] لأبي عثمان الجاحظ ، فاتفق أن كان في بعض الأيام عنده ، وقد نزع نعله ، فأخذه كلب زيني [5] في الدار ، وأبعده عن موضعه ، وأراد أبو بكر الطهارة فقام ولم يره وطلبه فلم يجده . فتقدّم أبو الفضل أن يقدّم اليه نعل نفسه، فاستسرف ذلك فعله استسرافاً بلغه ، فقال : ألام على تعظيم رجل ما قرأت عليه شيئاً [6] من الطبائع إلا عرف ديوان قائله ، وقرأ القصيدة من أولها حتى ينتهي اليه ، ولقد

---

(١) أبو الفضل محمد بن الحسين بن محمد الكاتب المعروف بابن العميد . والعميد لقب والده، لقبوه بذلك على عادة أهل خراسان في اجرائه مجرى التعظيم . وصفه الثعالبي بأحسن عبارة، قال فيها : «عين المشرق ولسان الجبل، وعماد ملك آل بويه وصدر وزرائهم، وأوحد العصر في الكتابة وجميع أدوات الرياسة وآلات الوزارة .. ، يدعى الجاحظ الأخير ، والأستاذ الرئيس . يضرب به المثل في البلاغة ، وينتهى اليه في الاشارة بالفصاحة والبراعة ، مع حسن الترسل وجزالة الألفاظ وسلاستها الى براعة المعاني ونفاستها ، ... وكان يقال : بدئت الكتابة بعبد الحميد ، وختمت بابن العميد » .

وزر أبو الفضل لركن الدولة البويهي صاحب الري في سنة ٣٢٨ هـ ، وتوفي سنة ٣٦٠ ، وقيل ٣٥٩ هـ .

(٢) هو كتاب سيبويه المشهور في النحو ، وقد طبع غير مرة .

(٣) أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط المتوفى سنة ٢٢١ هـ . — وفي الفهرست (ص٥٢ فلوجل) وكشف الظنون (٥:٥١٨، فلوجل = ٢ : ١٦٧٠ ، أنقرة = ٢ : ٤٢٦ ، استانبول) : كتابان للأخفش ، أحدهما : المسائل الكبير ، والثاني : المسائل الصغير . ونظن ان كلا الكتابين قد ضاع .

(٤) ذكره صاحب كشف الظنون . ونظنه من الكتب الضائعة .

(٥) الكلب الزيني أو الزئني ، هو القصير .

(٦) لعله : بيتاً .

كنتُ وغيري نتهم أبا عثمان الجاحظ فيما يستشهد به من غريب الشعر حتى دلّنا على مواضعه ، وأنشد القصيدة حتى انتزع منها من حفظه ، أفما يستحق من هذه الصفة صفته ، هذه الكرامة اليسيرة في جنب هذه الفضيلة الكبيرة »[١].

* * *

« [قال ابن خلكان] : ولابن العميد شعر ، وما أعجبني الذي وقفت عليه منه حتى أثبته ، سوى ما ذكره ابن الصابىء في كتاب الوزراء » ، « وهو قوله :

رأيت في الوجه طاقة بقيت	سوداء عيني تحب رؤيتها
فقلتُ للبيض إذ تروّعها	بالله الا ما رحمت غربتها
فقلّ لبث السوداء في بلد	تكون فيه البيضاء ضرّتها »[٢].

* * *

« وذكر الرئيس هلال بن الصابىء [في كتاب الوزراء] » ، « ان الصاحب بن عباد ، قال : أرسل إليّ الأستاذ الرئيس أبو الفضل بن العميد يستدعيني في وقت لم تجر عادته باستدعائي في مثله ، فتهيأت للمضي ، فجاءني رسول ثانٍ ، فركبت فلقيني ثالث يستحثني ، فارتبت وارتعت . فلما دخلت عليه ، قال : انني قلت بيتاً ثم أعييتُ عن اتمامه ، وهو :

وجاءوا بظبي كمثل الغزال	يُنال على الرسم في مثله

فقلتُ في الحال :

فأدخلت بعضي في بعضه	فيا ليت كلّي في كلّه

فجعل يكثر التعجب مني ، ثم انصرفتُ »[٣].

* * *

---

(١) معجم الأدباء (٥ : ٩ ــ ١٠) .
(٢) وفيات الأعيان (٢ ٨٦) .
(٣) بدائع البدائة (ص ٥٣) .

« ومن كتاب [الوزراء لـ] هلال » : « قال أبو الفضل بن العميد : ثلاثة علوم الناس كلهم عيال فيها على ثلاثة أنفس ، أما الفقه فعلى أبي حنيفة، لأنه دوّن وخلّد ما جعل من يتكلم فيه بعده مشيراً اليه ومخبراً عنه . وأما الكلام فعلى أبي الهذيل[1] ، وأما البلاغة والفصاحة واللسن والعارضة فعلى أبي عثمان الجاحظ »[2].

* * *

« [قال ابن خلكان] : وتوفي ابن العميد المذكور في صفر ، وقيل في المحرم بالري ، وقيل ببغداد ، سنة ستين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى . وذكر أبو الحسين هلال بن الحسن بن ابراهيم الصابىء في كتاب الوزراء » « انه توفي في سنة تسع وخمسين وثلثمائة . وكان أبو الفضل بن العميد يعتاده القولنج تارة ، والنقرس[3] أخرى، تسلّمه هذه إلى هذه . وقال لسائل سأله : أيها أصعب عليك وأشق ؟ قال : إذا عارضني النقرس ، فكأني بين فكي سبع يمضغني . وإذا اعتراني القولنج وددت لو استبدلت النقرس عنه . ويقال انه رأى أكاراً[4] في بستان يأكل خبزاً ببصل ولبن ، وقد أمعن منه . فقال وددتُ لو كنت كهذا الأكار آكل ما أشتهي . قلت : وهذه شيمة الدنيا قلّ أن تصفو من الشوائب ، « وكذا قال جده ابراهيم الصابىء[5] في كتاب التاريخ » ، والله أعلم »[6] .

---

(١) هو أبو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف ، شيخ البصريين في الاعتزال . توفي بسرمن رأى ، في حدود سنة ٢٣٥ هـ . (وفيات الأعيان ١ : ٦٨٤ - ٦٨٥) .

(٢) معجم الأدباء (٦ ٧٣ - ٧٤) .

(٣) النقرس : أنظر « الذيل العاشر » .

(٤) الأكار ، جمعه الأكرة والأكارون . هو الحرات أو الزراع . راجع في تفسيرها ما كتبه أحمد باشا تيمور في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (٢ [١٩٢٢] ص ٢٩٠ - ٢٩١) ، والأب أنستاس ماري الكرملي (مجلة المجمع ٣ [١٩٢٣] ص ٩١) .

(٥) في المطبوع « الخطابي » ، وهو تصحيف .

(٦) وفيات الأعيان (٢ : ٨٦) .

أبو الفتح بن العميد (١)

« قرأت في كتاب [الوزراء ، تأليف] أبي الحسن هلال بن الحسن » : حدثني أبو اسحاق ابراهيم بن هلال جدي، قال : لما سار عضد الدولة من بغداد عائداً إلى فارس (٢) ، أقام أبو الفتح بن العميد بعده ، ووصل إلى حضرة الطائع لله حتى خلع عليه وحمله وكناه ولقبه ذا الكفايتين وتنجز منه خلعاً ولقباً لفخر الدولة (٣) أبي الحسن ، واقطع من نواحي السواد ضياعاً كثيرة رتّب فيها نائباً

---

(١) علي بن محمد بن الحسين بن محمد أبو الفتح بن العميد ، الملقب بـ « ذي الكفايتين » : كفاية السيف ، وكفاية القلم . وزر لركن الدولة البويهي ثم لابنه مؤيد الدولة ، بالري وأصفهان وتلك الأعمال . ورد الى بغداد صحبة عضد الدولة لنصرة عز الدولة بختيار ، في الخلاف الذي وقع بينه وبين الأتراك المستعصين عليه .

قتل أبو الفتح في سنة ٣٦٦ هـ ، ومولده في سنة ٣٣٧ هـ . وكان نجيباً ذكياً لطيفاً سخياً ، رفيع الهمة ، كامل المروءة ، وقد تأنق أبوه في تأديبه وتهذيبه ، وجالس به أدباء عصره وفضلاء وقته .

وكان أبو بكر الخوارزمي يدعوه « القمقدي » ، لكونه قمي المولد ، بغدادي المنشأ .

وكان من أمره ، ان عضد الدولة تغير عليه لأمور ، فكتب الى أخيه مويد الدولة يأمره بالقبض على أبي الفتح واستصفاء أمواله وتعذيبه . فقبض عليه وحمله الى بعض القلاع ، وبدرت اليه كلمات في حق عضد الدولة نمت اليه ، فزادت في استيحاشه منه ، فأنهض من حضرته من تكفل بتعذيبه واستخراج أمواله والتنكيل به ، فأول ما عمل به أن سمل احدى عينيه ، ثم نكل به وجز لحيته وجدع أنفه ، وعذبه بأنواع من العذاب ،

وكان أبو الفتح قليل التجارب ، غير مفكر في العواقب ، قد ولد في النعمة الضخمة ونشأ فيها ، وخلف أباه وله دون خمس عشرة سنة ، وتولى الوزارة وله احدى وعشرون سنة .

طالع ترجمته وطرف أخباره ، في يتيمة الدهر (٣ : ١٦٢ ـ ١٦٩ مطبعة الصاوي . القاهرة ١٩٣٤) ، وتجارب الأمم (٦ : ٣٠١ وما يليها) ، ومعجم الأدباء (٥ : ٣٤٧ ـ ٣٧٥) ، ووفيات الأعيان (٢ : ٨٣ ـ ٨٨) .

(٢) كان ذلك في سنة ٣٦٤ هـ . راجع : تجارب الأمم (٦ : ٣٥٢) .

(٣) هو علي أبو الحسن الملقب فخر الدولة بن ركن الدولة البويهي . أقطعه أبوه بلداناً ، =

يستوفي ارتفاعها ويحمله اليه[1]، ودعاه أبو طاهر بن بقية عدة دعوات ، وملأ عينه بالهدايا والملاطفات . وقال في بعض الأيام : لا بد أن أخلع على ابن العميد في مجلسي . ودعاه ، فلما قعد وأكل وجلس على الشرب ، أخذ ابن بقية بيده فَرَجية[2] ورداءً في غاية الحسن والجلالة ووافى بهما إلى ابن العميد ، وقال له : قد صرتُ أيها الأستاذ جامدارك[3] ، فانظر هل ترتضيني لخدمتك ؟ وطرح الفرجية عليه وقدّم الرداء بين يديه فأخذه ولبسه . ومن شعره في الحبس :

ما بال قومي يجفوني أكابرهم … أإن أطاعتهم الأيام والدول

أإن تقاصر عني الحال تقطعني … عراهم ساء ما شاؤوا وما فعلوا

أغراهم ان ّهذا الدهر اسكتني … عنهم وتنطق فيه الشاء والابل

قدماً رميت فلم تبلغ سهامهم … وأخطأ الناس من مرميه زحل[4]

* * *

= ولما توفي أخوه مؤيد الدولة ، كتب اليه الصاحب بن عباد يأمره بالاسراع ، فأسرع وملك مكان أخيه واستوزر الصاحب بن عباد .

وكان فخر الدولة شجاعاً . لقبه الطائع بفلك الأمة . وتوفي في سنة ٣٨٧ ه .

وكانت امارته ثلاث عشرة سنة وعشرة أشهر وسبعة وعشرين يوماً .

(١) هو أبي الفتح بن العميد : أنظر « الذيل الحادي عشر » .

(٢) الفرجية ، وتجمع على الفرجيات والفراجي : ضرب من الثياب يلبس فوق سائر الثياب، وله طوق وأردان طوال ، يلبسه العلماء . وتكون أحياناً مفرجة من القدام من أعلاها الى أسفلها ، مزرورة بالأزرار .

والفرجية تلقى على الكتفين القاء . في أخبار الراضي بالله ، انه قطع بالمنشار قرن غزال ولم تسقط الفرجية من كتفه .

وكانت الخلع العظيمة لا تخلو من الفراجي ، تخلع على الأمراء والسلاطين والقواد والقضاة وغيرهم من أماثل الناس وأعيانهم .

(٣) الجامدار : هو الذي يتصدى لالباس السلطان أو الأمير ثيابه . (صبح الأعشى ٥ : ٤٥٧ ـ ٤٥٩) .

(٤) معجم الأدباء (٥ : ٣٥٢ ـ ٣٥٣) . وانظر أيضاً تجارب الأمم (٦ : ٣٥٣ ، الحاشية ١ ، نقلا عن صاحب التكملة) .

« قال أبو الحسين [هلال بن المحسن في كتاب الوزراء] » : « وحدثني أبو الفتح منصور[١] بن محمد بن المقدر الأصبهاني ، قال : حدث أحد أصحاب أبي الفضل بن العميد المختصين به ، قال : كان أبو الفتح بن أبي الفضل يباكر أباه في كل يوم ، ويدخل اليه قبل كل أحد. فاتفق أن دخل يوماً وأنا جالس عنده ، فلما رآه مقبلاً في الصحن وشاهد عمّته ، وكانت ديلمية ، ومشيته وهو يختال فيها ويسرف في تلويها ، عجب من ذاك وقال لي : أما ترى إلى هذه العمّة وهذه المشية في مخالفتها لعادتنا ومفارقتها طريقتنا . فقلتُ : قد رأيتُ ، وإن رسم الأستاذ أن أخاطبه فيها وأنهاه عنها فعلت . فقال : لا تفعل فانه قصير العمر[٢] ، وما أحب أن أدخل على قلبه هماً ولا أمنعه هوىً ... »[٣].

* * *

اسماعيل بن عباد[٤]

« قرأت في كتاب [الوزراء لمؤلفه] هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابيء . قال» :

« وكان الصاحب أبو القاسم يراعي من ببغداد والحرمين من أهل الشرق ، وشيوخ الكتّاب والشعراء وأولاد الأدباء والزهاد والفقهاء ، بما يحمله اليهم في

---

(١) قال الخطيب (تاريخ بغداد ١٣ : ٨٦ ـ ٨٧) : « سكن بغداد وحدث بها عن أبي بكر عبد الله بن محمد القباب الأصبهاني . كتبت عنه ، وكان معتزلياً داعية خبيث المذهب ، يزري على أصحاب الحديث ، ويستهزيء بالآثار ... مات في سنة ٤٢٢ هـ » .

(٢) راجع تفصيل ذلك في تجارب الأمم (٦ : ٣٠١ وما يليها) .

(٣) معجم الأدباء (٥ : ٣٥٣ ـ ٣٥٤) .

(٤) كان نادرة الدهر وأعجوبة العصر في فضائله ومكارمه . ولد في سنة ٣٢٦ ، وتوفي سنة ٣٨٥ هـ . وصفه الثعالبي في يتيمته (٣ : ١٦٩ ـ ١٧٠) وأثنى عليه كثيراً . وزر لمؤيد الدولة البويهي ، ثم لاخيه فخر الدولة . قال ابن الجوزي (المنتظم ٧ : ١٨١) : « كان الصاحب أفضل وزراء الدولة الديلمية ، وجميع ملكهم كان مائة وعشرين سنة ، وزر لهم فيها جماعة فيهم معان حسنة ، ولكن لم يكن من يذكر عنه العلم كما يذكر عن الصاحب » .

=

كل سنة مع الحاج، على مقاديرهم ومنازلهم، وكان يحمل إلى أبي اسحاق ابراهيم بن هلال [الصابىء] خمسمائة دينار، وإليّ ألف درهم جبلية مع جعفر بن شعيب، فأذكر وقد راسله بعد وفاة عضد الدولة[1] ، بالاستدعاء إلى حضرته بالري ، وبذل له النفقة الواسعة والمعونة الشاسعة عند شخوصه ، والارغاب والاكثار عند حضوره . فكانت عُقلة بالذيل الطويل والظهر الثقيل تمنعه من ترك موضعه ومفارقة موطنه . فما كتبه اليه بالاعتذار عن التأخر :

نكصت على أعقابهن مطالبي ‌ ‌ ‌ ‌ وتقاعست عن شأوهن مآربي
وتبلدت منّي القريحة بعدما ‌ ‌ ‌ ‌ كانت نفاذاً كالشهاب الثاقب
وبكيت شرخ شبيبتي فدفنتها ‌ ‌ ‌ ‌ دفن الأعزة في العذار الشائب

ومنها :

فلو ان لي ذاك الجناح لطار بي ‌ ‌ ‌ ‌ حتى أقبّل ظهر كف الصاحب
وأعيش في سقيا سحائبه التي ‌ ‌ ‌ ‌ ضمنت سعادة كل جد خائب
وأراجع العادات حول قبابه ‌ ‌ ‌ ‌ حتى السواد من الشباب الذاهب
وأعد من جلساء حضرته التي ‌ ‌ ‌ ‌ شحنت بكل مسائل ومحارب
فيقول من ذا سائل عني له ‌ ‌ ‌ ‌ مستثبت فيقول هذا كاتبي
أترى أروم بهمتي ما فوق ذا ‌ ‌ ‌ ‌ أني وخدمته أجل مراتبي

ومنها يعتذر :

كثرت عوائقي التي تعتاقني ‌ ‌ ‌ ‌ من غيث راحته المُلِثّ[2] الساكب
ولد لهم ولد وبطن ثالث ‌ ‌ ‌ ‌ هو رابعي وعشيرتي وأقاربي

= وكان الصاحب يحرز خزانة كتب عظيمة حافلة بالدرر والنفائس . وصنف في اللغة كتاباً سماه « المحيط » رتبـــه على حروف المعجم ، و « الكافي في الرسائل » و « الاعياد وفضائل النيروز » و « الامامة » و « الوزراء » و « الـكشف عن مساوىء المتنبي » و « أسماء الله تعالى وصفاته » ، وله رسالة في الطب .

(١) توفي عضد الدولة البويهي سنة ٣٧٢ ه .

(٢) لث المطر : دام أياماً .

والسنّ تسع بعدها خمسون قد ... شامت بوارق يومها المتقارب
فالجسم يضعف عن تجشم راجل ... والحال يقصر عن ترفه راكب
وعليّ للسلطان طاعة مالك ... كانت على الملوك ضربة لازب
وتمطلي مع شهوتي كتصرفي ... كل سواء في حساب الحاسب

وهي طويلة . فلما كانت سنة ٨٤[1] التي توفي فيها جدي ، أحس بانقضاء مدته وحضور منيته ، فكتب إلى الصاحب كتاباً يسأله فيه اقرار هذا الرسم المذكور على ولده ، واجراءه لهم من بعده ، وقرن الكتاب بقصيدة أولها :

تحذّر منك النائبات فتحذر ... وتُذْكَر للخطب الجسيم فيصغر
وتكسى بك الدنيا ثياب جمالها ... فيرجوك معروف ويخشاك منكر

يقول فيها :

أسيدنا ان المنية اعذرت ... إليّ بآيات تروع وتذعر
لها نذر قد آذنتني بهجمة ... على مورد ما عنه للمرء مصدر
واني لاستحلي مرارة طعمه ... إذا كنت بالتقديم لي تتأخر
وحق لنفس كان منك معاشها ... إذا غمضت عيناً وعينك تنظر
ومن ورث الأولاد بعد وفاته ... حضانك طابت نفسه حين يقبر
تمرد منك الجود حتى تمرّدت ... مطالبنا والماجد الحر يصبر
أأطلب منك الرفد عمري كله ... وأطلبه والجنب مني معفر
وليست بأولى بدعة لك في الندى ... لها موقف الحمد ينشر

« وهي طويلة . « قال هلال بن المحسن » : وأمرني بأن أنفذ ذلك . فأنفذته وكتبت عن نفسي كتاباً في معناه ، ووصل ونفذ من يحمل الرسم على العادة . ثم اتفق ان توفي الصاحب في أول سنة ٣٨٥ ، فوقف وكانت بين وفاتها شهور .
« قال هلال » : وسمعت محدّثاً يحدّث أبا اسحاق انه سمع الصاحب يقول : ما بقي

---

(١) يريد بها سنة ٣٨٤ ه .

من أوطاري وأغراضي إلا أن أملك العراق، وأتصدر بغداد، واستكتب أبا اسحاق الصابىء، ويكتب عني، وأغير عليه. فقال جدي: ويغير عليّ وان أصبت»[١].

* * *

« قال هلال [في كتاب الوزراء] »: « وحدثني أبو اسحاق جدي. قال: حضر الصاحب أبو القاسم بن عباد، دار الوزير المهلبي عند وروده إلى بغداد مع مؤيد الدولة[٢]، فحجب عنه لشغل كان فيه، وجلس طويلاً، فلما تأخر الاذن كتب إليّ رقعة لطيفة فيها:

واترك محجوباً على الباب كالخصي ويدخل غيري كالايور ويخرج

فأقرأتها الوزير المهلبي، فأمر بادخاله »[٣].

* * *

« قال [هلال في كتاب الوزراء] »: « وكان الصاحب عند دخوله إلى بغداد قصد القاضي أبا السائب عتبة[٤] بن عبيد، لقضاء حقه، فتثاقل في القيام له، وتحفز تحفزاً أراه به ضعف حركته وقصور نهضته. فأخذ الصاحب بضبعه[٥] وأقامه، وقال: نعين القاضي على قضاء حقوق اخوانه، فخجل أبو السائب واعتذر اليه »[٦].

* * *

---

(١) معجم الأدباء (٢ : ٣٣٥ ـ ٣٣٨).

(٢) مؤيد الدولة بن ركن الدولة البويهي، المتوفى بجرجان سنة ٣٧٣ هـ. كان وزيره الصاحب بن عباد، اضبط مملكته وأحسن التدبير.

(٣) معجم الادباء (٢ : ٣٣٨).

(٤) أبو السائب عتبة بن عبيد الله بن موسى بن عبيد الله الهمذاني. ولد بهمذان في سنة ٢٦٤ هـ، كان اماماً عالماً، ولي قضاء أذربيجان ثم قضاء همذان، وآل به الأمر الى أن تقلد قضاء القضاة ببغداد سنة ٣٣٨ هـ، مات في سنة ٣٥٠ هـ.

(٥) الضبع: العضد، الابط.

(٦) معجم الادباء (٢ : ٣٣٨).

« وذكر هلال بن المحسن [في كتاب الوزراء] عن أبي طاهر بن الحمامي عن [الأنباري] الكاتب ، قال » : « ورد إلى الصاحب رجل من أهل الشام ، فكان فيما استخبره عنه رسائل مَن تُقرأ عندكم ؟ فقال : رسائل ابن عبدكان[1]. قال: ومن؟ قال : رسائل الصابىء[2]. وغمزه أحد جلسائه ليقول رسائل الصاحب[3]، فلم يفطن ، ورآه الصاحب فقال : تغمز حماراً لا يحس ! »[4].

* * *

« وروى ابن الصابىء في كتاب الوزراء ، قال » : « وكان في مجلس الصاحب متكلم يُعرف بابن الحضيري ، فغلبه النوم يوماً في المجلس ، فكانت منه فلتة، فعلم بها ، فقام خجلاً . فقال فيه الصاحب ارتجالاً :

يا ابن الحضيري لا تذهب على خجل ... من ضرطة أشبهت نايا على عود

فإنها الريح لا تسطيع تحبسها ... إذ أنت لست سليمان بن داود[5]

* * *

« قال هلال [في كتاب الوزراء] » : « توفي الصاحب كافي الكفاة أبو القاسم اسماعيل بن عباد بالري ، ودفن من غد في داره ، ونظر في الأمور بعده

---

(١) هو أبو جعفر محمد بن عبد الله بن عبد كان . كان على المكاتبات والرسائل في عهد الدولة الطولونية . وكان بليغاً مترسلا فصيحاً . وله ديوان رسائل ونظنه من الكتب الضائعة . أنظر : الفهرست لابن النديم (ص ١٣٧) ، وسيرة أحمد بن طولون (ص ١١٠ ، ١١٢ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، بتحقيق الاستاذ محمد كرد علي بك . دمشق ١٣٥٨ هـ) ، وصبح الأعشى (١١ : ٢٩) .

(٢) عني الأمير شكيب أرسلان بنشر الجزء الأول من مختار «رسائل أبي اسحاق الصابىء»: (بعبدا — لبنان ١٨٩٨) .

(٣) عني بنشر هذه الرسائل الأستاذان عبد الوهاب عزام وشوقي ضيف (القاهرة ١٩٤٧).

(٤) معجم الأدباء (٢ : ٣١٥) .

(٥) بدائع البدائه (ص ١٩٩) . وهذه النادرة وردت في معجم الأدباء (٢ : ٣١٣) باختلاف يسير في بعض كلماتها ، ولكن ياقوتاً نقلها عن بديع الزمان الهمذاني .

أبو العباس أحمد بن ابراهيم الضبّي [1] المتلقب بالكافي الأوحد. ومنزلة الصاحب وعلو قدره، وما شاع من ذكره، يغني عن الاطالة في وصف أمره. فحدثني القاضي أبو العباس أحمد بن محمد البارودي، قال: اعتلّ الصاحب أبو القاسم، فكان أمراء الديلم ووجوه الحواشي وأكابر الناس يغادون بابه ويراوحون ويخدمونه بالدعاء وتقبيل الأرض وينصرفون. وجاءه فخر الدولة عدة دفعات، فيقال ان الصاحب قال له وهو على يأس من نفسه: قد خدمتك أيها الأمير الخدمة التي استفرغت فيها الوسع، وسرت في دولتك وأيامك السيرة التي حصلت لك حسن الذكر بها، فان أديتَ الأمور بعدي على رسومها، علم ان ذلك منك، ونسب الجميل فيه اليك، واستمرت الأُحدوثة الطيبة لك، ونسيت أنا في أثناء ما يثني به عليك. وإن غيرت ذلك وعدلت عنه، وسمعت أقوال من يحملك على خلافه، وتسلك به في طريقه، كنتُ المذكور بما تقدم والمشكور عليه، وقدح في دولتك ما يشيع آتفاً عنك. فقال له في جواب ذلك ما أراه به قبول رأيه. فلما كان وقت غروب الشمس من ليلة الجمعة المذكورة، قضى نحبه. وكان أبو محمد [2] خازن الكتب ملازماً داره على سبيل الخدمة له، وهو عين لفخر الدولة في مراعاة الدار وما فيها، فأنفذ في الحال وعرّفه الخبر، فأنفذ فخر الدولة خواصه وثقاته حتى أحاطوا على الدار والخزائن. ووجد له كيس فيه رقاع أقوام، بمائة ألف وخمسين ألف دينار، مودعة عندهم، فاستدعاهم وطالبهم

---

(١) تولى الوزارة لفخر الدولة البويهي بعد الصاحب بن عباد. وتوفي ببروجرد، في سنة ٣٩٩ ه.

(٢) أبو محمد عبدالله بن أحمد الخازن، وصفه الثعالبي (اليتيمة ٣ : ٢٩٢ ـ ٣٠٥)، بقوله: « هو من حسنات أصبهان وأعيان أهلها في الفضل ... ومن خواص الصاحب ومشاهير صنائعه، وذوي السابقة في مداخلته وخدمته، وكان في اقتبال شبابه وريعان عمره، يتولى خزانة كتبه، وينخرط في سلك ندمائه ... فتصرف من الخدمة فيما قصر أثره فيه عن الحد الذي يحمده الصاحب ويرتضيه ... فلما كان ذلك يعود بتأديبه اياه وعزله، ذهب مغاضباً أو هارباً، وترامت به بلدان العراق والشام والحجاز في بضع سنين، ثم أفضت حاله في معاودة حضرة الصاحب بجرجان ... ».

بذلك ، فأحضروه . وكان فيه ما هو بختم مؤيد الدولة . ورجمت الظنون فيه ، فقيل : انه أخذه من خيانة ، وقيل : انه أودعه مؤيد الدولة عن وصية منه اليه . ونقل ما كان في الدار والخزائن إلى دار فخر الدولة ، وجهّز الصاحب وأخرج تابوته ، وقد جلس أبو العباس الضّبي [للصلاة عليه] والعزاء به ، فلما بدا على أيدي الحاملين له ، قامت الجماعة اعظاماً له ، وقبّلوا الأرض ، ثم وقعت الصلاة عليه وعلّق بالسلاسل في بيت كبير إلى أن نقل إلى تربته بأصبهان »[1].

* * *

« وحدث هلال بن المحسن [في كتاب الوزراء] » : « ما روي أحدٌ وفي من الاعظام والاكبار بعد موته، ما وُفيه الصاحب. فانه لما جُهز ووضع في تابوته وأخرج على اكتاف حامليه للصلاة عليه ، قام الناس بأجمعهم فقبّلوا الأرض بين يديه ، وخرقوا عند ذلك ثيابهم ، ولطموا وجوههم ، وبلغوا في البكاء والنحيب عليه جهدهم . وكان يلبس القباء في حياته تخففاً بالوزارة وانتساباً معهـا إلى الجندية . »[2] وحدّث [هلال] عن أبي الفتح بن المقدر، قال : كان أبو القاسم بن أبي العلاء الشاعر[3] من وجوه أهل أصبهان وأعيانهم ورؤسائهم ، فحدثني انه رأى في منامه قائلاً يقول له : لو كاثرت الصاحب أبا القاسم بن عباس مع فضلك ، وكثرة علمك ، وجودة شعرك . فقلتُ : أفحمتني كثرة محاسنه ، فلم

---

(١) معجم الأدباء (٦ : ٦٩ ـ ٧٠) . وراجع أيضاً : ذيل تجارب الأمم (ص ٢٦١ ـ ٢٦٢ ، طبعة آمدروز . القاهرة ١٩١٦) .

(٢) ما بين القوسين « » نقله ابن ظافر الأزدي في بدائع البدائه (ص ٩٦ ـ ٩٧)، وابن خلكان في وفيات الأعيان (١ : ١٠٦) ، باختلاف طفيف .

(٣) أبو القاسم غانم بن محمد بن أبي العلاء الأصبهاني . مدحه الثعالبي وأورد له جملة من محاسن شعره : (يتيمة الدهر ٣ : ٢٩٠ ـ ٢٩٢) و(تتمة اليتيمة ١ : ١١٩ـ ١٢٠، بتحقيق عباس اقبال . طهران ١٣٥٣ هـ) ، كذلك أورد الباخرزي رائية له : (دمية القصر وعصرة أهل العصر، ص ٩٣، طبعة محمد راغب الطباخ . حلب ١٩٣٠).

أدر بما أبدأ منها ، وخفتُ أن أقصر ، وقد ظن بي الاستيفاء لها . فقال : أجز ما أقوله . قلتُ : قل ، فقال[1] :

ثوى الجود والكافي معاً في حفيرة

فقلتُ : ليأنس كل منهما بأخيه

فقال : هما اصطحبا حيين ثم تعانقا

فقلتُ : ضجيعين في لحدٍ بباب ذريه

فقال : إذا ارتحل الثاوون عن مستقرهم

فقلتُ : أقاما إلى يوم القيامة فيه »[2].

* * *

فخر الملك أبو غالب محمد بن علي بن خلف[3]

« وحدث الرئيس أبو الحسين هلال بن المحسن [في كتاب الوزراء] ، قال » :
« كنتُ مع فخر الملك أبي غالب بن خلف بالأهواز ، فكتب إلى أبي ياسر عماد

---

(١) في يتيمة الدهر (٣ : ٢٥٣ ـ ٢٥٤) ، وتتمة اليتيمة (١ : ١٢٠) ، أبيات يرثي فيها الصاحب .

(٢) معجم الأدباء (٢ : ٣٢٢ ـ ٣٢٣) .

(٣) وزير بهاء الدولة بن عضد الدولة ، وبعد وفاة بهاء الدولة وزر لولده سلطان الدولة . كان فخر الملك من أعظم وزراء آل بويه على الاطلاق بعد ابن العميد والصاحب .
وأصل فخر الملك من واسط ، وكان واسع النعمة ، جم الفضائل جزيل المطايا . قصده جماعة من أعيان الشعراء ومدحوه ، منهم أبو نصر عبد العزيز بن نباتة الشاعر ، ومهيار الديلمي ، ولأجله صنف الحاسب الكرخي « الفخري في الجبر والمقابلة » و « الكافي في الحساب » .
ومن محاسن أعماله ، انه سد البثوق ، وعمر سواد الكوفة ، وعمل الجسر ببغداد وكان قد نسي وبطل ، وعمل له درابزينات ، وعمر المارستان . وداره بأعلى الحريم الطاهري ببغداد يقال لها الفخرية ، كانت أولا للمتقي لله ، ثم ابتاعها عز الدولة بختيار بن معز الدولة وخربت فعمرها فخر الملك وأنفق عليها أموالا كثيرة ، وفرغ منها =

بن أحمد الصيرفي ، احمل إلى أبي الحسن البتي [١] مائتي دينار مع امرأة لا يعرفها، واكتب معها رقعة غير مترجمة ، وقل فيها : قد دعاني ما آثرته من مخالطتك ، ورغبت فيه من مودتك إلى استدعاء المواصلة منك ، وافتتاح باب الملاطفة بيني وبينك . وقد أنفذت مع الرسول مائتي دينار ، فأخذها أبو الحسن ، وكتب على ظهر الورقة : مالا أعرف مهديه فأشكر له ما يوليه ، إلا انه صادف اضاقة دعت إلى أخذه والاستعانة في بعض الأمور به ، وقلتُ :

ولم أدرِ مَن ألقى عليه رداءه   سوى انه قد سل عن ماجد محض

« وإذا سهل الله لي اتساعاً رددت العوض موفوراً ، وكان المبتدىء بالبر مشكوراً . وكان أبو الحسن قد فطن للقصة وكتب ما كتب على بصيرة ، ولما أنفذ أبو ياسر بالجواب أقرأنيه فخر الملك ، فاستحسنت وقوع هذا البيت موقعه من التمثل »[٢].

* * *

= سنة ٤٠٢ هـ .

ولم يزل فخر الملك في عزه وجاهه وحرمتـــه ، الى أن نقم عليه سلطان الدولة بسبب اقتضى ذلك ، فحبسه ثم قتله بسفح جبل قريب من الأهواز ، سنة ٤٠٧ هـ ، ودفن هناك .

وقد أسهب هلال الصابىء في وصفه وأطنب ، واستوفى أخباره وطول ترجمته . أنظر : وفيات الأعيان (٢ : ٩٦) وتاريخ الاسلام للذهبي (تاريخ هلال الصابىء الملحق بذيل تجارب الأمم ، ص ٤٦٠ ، الحاشية ١) .

(١) أحمد بن علي أبو الحسن البتي الكاتب . كان في بدء أمره يكتب للقادر بالله عند مقامه بالبطيحة ، ومن بعد كتب في ديوان الخلافة ، وكان مليح المذاكرة بالأخبار والآداب ، عجيب النادرة ، ظريف المزح والمجون . قال ياقوت : « وغلب على اخلاقه الهزل ، وانقطع الى اللعب . وكان شكله ولفظه وما يورده من النوادر ، يدعو الى مكاثرته والرغبة الى مخالطته . ونادم الوزراء حتى انتهى الى منادمة فخر الملك ، وأعجب به غاية الاعجاب ، وأحسن اليه غاية الاحسان » .

وله تصانيف ، منها « القادري » و « العميدي » و « الفخري » . مات سنة ٤٠٣ هـ . وقد أسهب ياقوت في ترجمته وملح أخباره (معجم الأدباء ١ : ٢٣٣ ـ ٢٤١) .

(٢) معجم الأدباء (١ : ٢٣٥ ـ ٢٣٦) .

أبو القاسم المطهر بن عبد الله [1]

« قال [هلال في كتاب الوزراء] » : « وحدثني جدي ، قال : كنتُ جالساً بحضرة أبي القاسم المطهر بن عبد الله [2] ، وزير عضد الدولة في يوم القبض علي، إذ وردت النوبة، ففُضَّت بين يديه .وبدأ منها بقراءة كتاب عضد الدولة، فلما انتهى إلى فصل منه ، وجم وجوماً بان في وجهه ، فقال لي أبو العلاء صاعد بن ثابت : أظن في هذا الكتاب ما ضاق صدراً به ، وقمتُ من مجلسه لأنصرف ، فتبعني بعض حجابه وعدل بي إلى بيت من داره ، ووكل بي ، [وأرسل يقول لي] : لعلك قد عرفتَ مني الانزعاج عند الوقوف على الكتاب الوارد من الحضرة اليوم ، وكان ذلك لما تضمن من القبض عليك ، وأخذ مائة ألف درهم منك، وينبغي أن تكتب خطك بهذا المال ، ولا تراجعُ فيه ، فو الله لا تركت ممكناً في معونتك وتخليصك إلا بذلته . وقد جعلتُ اعتقالك في داري ، ومقامك في ضيافتي ، فطب نفساً بقولي وثق بما يتبعه من فعلي . وقبض على ولديه ، أبي علي الحسن والدي، وأبي سعيد سنان [3] عمي فلما تقدم عضد الدولة إلى أبي القاسم المطهر بالانحدار لقتال صاحب البطيحة [4] ، سأل

---

(١) وزر لعضد الدولة البويهي ، وشخص في سنة ٣٦٩ هـ عن مدينة السلام الى أسافل واسط لطلب الحسن بن عمران صاحب البطيحة ، فأقام على منازلته ، والتاث عليه أمره ، فقتل نفسه .

وتناول المؤرخان : مسكويه (تجارب الأمم ٢ : ٤٠٩ ـ ٤١٢)، وابن الأثير (الكامل في التاريخ ٨ : ٥١٥ ـ ٥١٦ طبعة ترنبرغ في ليدن) شرح الحال في قتل المطهر لنفسه في سنة ٣٦٩هـ ، وفي ذلك شذرات من ترجمته وأخباره ، فلتراجع .

(٢) كان أبو اسحاق الصابيء صديقاً حميماً للمطهر بن عبد الله . وقد مدحه بأبيات . أنظر : (يتيمة الدهر ٢ : ٢٥٣ ـ ٢٥٤ ، ٢٥٩)

(٣) ذكره ياقوت (معجم الأدباء ٦ : ٢٤٥) ، فقال : « ... وكان لأبي اسحاق [الصابيء] ابن آخر يقال له أبو سعيد سنان ، ليس بالنبيه ، ... مات في حياة أبيه في شهر رجب سنة ثمانين [وثلاثمائة] » .

(٤) صاحب البطيحة : أنظر « الذيل الثاني عشر » .

عضد الدولة اطلاقه والاذن له في استخلافه بحضرته . فقال له : أما العفو فقد شفّعناك فيه ، وينبغي أن تعرّفه ذلك وتقول له : اننا قد غفرنا لك عن ذنب لم نعف عما دونه لأهلنا ، يعني عز الدولة(١) والديلم، ولأولاد بيتنا يعني أبا الحسن محمد بن عمر(٢) ، وأبا أحمد الموسوي(٣) ، ولكنا وهبنا اساءتك لخدمتك ، وعلينا المحافظة فيك على الحفيظة منك . وأما استخلافك اياه بحضرتنا ، فكيف يجوز أن ننقله من السخط والنكبة إلى النظر في الوزارة ، ولنا في أمره تدبير ، وبالعاجل ، فتحمل اليه من عندك ثياباً ونفقة ، وتطلق ولديه ، وتقدم اليه عنا بعمل كتاب في مفاخرنا(٤) . فحمل اليه المطهر ثياباً ونفقة وأطلق ولديه : والدي وعمي ، ورسم له تأليف الكتاب في الدولة الديلمية ، وانحدر المطهر ، وبقي

---

(١) بختيار أبو منصور عز الدولة بن معز الدولة البويهي . ملك بعد موت أبيه . وكان ابن عمه عضد الدولة قد طمع في مملكة بغداد ، فخاصمه ، فقتل عز الدولة في سنة ٣٦٧ هـ .

(٢) محمد بن عمر بن يحيى بن الحسين بن أحمد بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ، ابو الحسن العلوي الكوفي . ولد في سنة ٣١٥ هـ ، وسكن بغداد ، وكان المقدم على الطالبيين في وقته ، مع كثرة المال والضياع . وكان عضد الدولة يغيظه منه كثرة ماله وعلو همته ونفوذ أمره .

وتحرك العداء في قلب عضد الدولة ، حتى اذا ما دنت سنة ٣٦٩ هـ ، قبض فيها على أبي الحسن بالبطيحة وأنفذه الى فارس ، وأنفذ أبا الوفاء طاهر بن محمد الى الكوفة لقبض أمواله وأملاكه . فوصل الى شيء عظيم يستكثر من المال والسلاح وضروب الذخائر . ودخلت اليد في ضياعه ، وكانت كثيرة .

وبقي في الاعتقال سنين ، حتى اطلقه شرف الدولة البويهي ، ودخل معه بغداد ، وتزايدت حاله في ايامه . توفي أبو الحسن في سنة ٣٩٠ هـ ، وعمره خمس وسبعون سنة ، ودفن في حجرة بدرب المنصور بالكرخ .

(٣) الحسين بن موسى بن محمد بن ابراهيم بن موسى بن جعفر الصادق الشريف أبو احمد الموسوي ، والد الشريفين: الرضي والمرتضى. كان سيداً عظيماً مطاعاً . وكان يلقب بـ« الطاهر » وبـ« ذي المناقب » ، ولقب بـ « الأوحد » . خاف منه عضد الدولة ، فاستصفى امواله . ولي قضاء القضاة ، ثم النقابة غير مرة . مات ببغداد في سنة ٤٠٠ هـ .

(٤) كتاب « التاج » لأبي اسحاق الصابي . : أنظر « الذيل الثالث عشر » .

أبو اسحاق في محبسه ، وعمل الكتاب ، فكان إذا ارتفع جزء منه حمل الى الحضرة العضدية حتى يقرأه ويتصفحه ويزيد فيه وينقص منه . فلما تكامل على ما أراده حرّر وحمل كلاماً محرراً ، فيقال انه قرىء عليه في اسبوع ، وتركه في الحبس بعد ذلك سنة ، واتفق أن خرج الى الزيارة[1] ، وعاد فعمل فيه قصيدة يهنئه فيها بمقدمه ، ويذكره بأمره ، منها :

أهلاً بأشرف أوبة وأجلها ... لأجل ذي قدم يلاذ بنعلها[2]

شاهنشاه[3] تاج ملته التي ... زيدت به في قدرها ومحلها

يا خير من زهت المنابر باسمه ... في دولة علقت يداه بحبلها

وأقمت فينا سيرة عضدية ... هيهات لا تأتي الملوك بمثلها

يردي غويٌّ فاجر في بأسها ... ويعيش برٌّ صالح في فضلها

مولاي عبدك حالف لك حلفة ... يعيي مناكب يذبل عن حملها

لقد انتهى شوقي اليك الى التي ... لا أستطيع أقلّها من ثقلها

طوبى لعين أبصرتك ومن لها ... بغبار دارك جازياً عن كحلها

لو بعتني بجميع عمري لفظة ... أو لحظة بالطرف لم استغلها

أترى أمر بخطرة من بالها ... أترى أعود الى كثافة ظلها

لي ذمة محفوظة في ضمنها ... ووثائق محروسة في كفلها

---

(١) يريد زيارة مشهد الامام علي في الكوفة . راجع : (يتيمة الدهر ٢ : ٢٥٠) .

(٢) في يتيمة الدهر (٢ : ٢٥٠) ورد أربعة أبيات فقط ، الأول كما ورد هاهنا ، والثلاثة غير مذكورة ، وهي :

فرشت لك الترب التي باشرتها ... بشفاهها من كهلها أو طفلها

لم تخط فيها خطوة الا وقد ... وضعت لرجلك قبلة من قبلها

واذا تذللت الرقاب تقربا ... منها اليك فعزها في ذلها

(٣) هذا من ألقاب عضد الدولة . وكان أبو اسحاق الصابىء يعتذر الى عضد الدولة لما سبق له في تلقيب عز الدولة بهذا اللقب . راجع الكامل في التاريخ (٩ : ١١-١٢ ، حوادث سنة ٣٧١ هـ) .

وإذا رأيت سحائباً لك ثرة ... تروي النفوس الحائمات بهطلها
لا في الرجال الناقعين بوبلها ... كلا ولا في القانعين بطلها
قابلت بالزفرات هبة ريحها ... وحكيت بالعبرات درة سجلها
فلو ان عيني راهنت بدموعها ... عيناك في السقيا لفزت بخصلها [1]

* * *

« [... قال : وأهدى أبو اسحاق الصابىء الى عضد الدولة في يوم مهرجان أصطرلاباً بقدر الدرهم ، محكم الصنعة ، وكتب اليه . وفي كتاب الوزراء لحفيده] » :
« انه أهدى الاصطرلاب الى المطهر بن عبد الله وزير عضد الدولة وكتب اليه بهذه الأبيات [2] :

أهدى اليك بنو الحاجات [3] واختلفوا [4] ... في مهرجان عظيم [5] أنت مبليه [6]
لكن عبدك ابراهيم حين رأى ... علو [7] قدرك لا شيء [8] يساميه [9]
لم يرض بالأرض يهديها [10] اليك فقد ... أهدى لك الفلك الأعلى بما فيه [11]

* * *

---

(١) معجم الأدباء (١ : ٣٣٢ ـ ٣٣٤) .

(٢) ذكرها الثعالبي في يتيمته (٢ : ٢٥٥) ، والحصري القيرواني في زهر الآداب (٢ : ١٠٨ ، بتحقيق الدكتور زكي مبارك ، القاهرة ١٩٣١) وقالا : انه أهدى الاصطرلاب الى عضد الدولة في يوم مهرجان .

(٣) في اليتيمة : « بنو الآمال » .

(٤) اليتيمة : « واحتفلوا » . وفي زهر الآداب : « واحتشدوا » .

(٥) اليتيمة : « جديد » .

(٦) زهر الآداب : « تمليه » .

(٧) زهر الآداب : « سمو » .

(٨) اليتيمة ، وزهر الآداب : « عن شيء » .

(٩) اليتيمة : « يدانيه » .

(١٠) اليتيمة : « مهداة » .

(١١) معجم الأدباء (١ : ٣٢٩) .

ابن مقلة (١)

« وحدث أبو الحسين هلال بن المحسن بن ابراهيم بن هلال الصابىء في كتابه كتاب الوزراء ، قال » : « حكى لي أبو الحسن ثابت (٢) بن سنان ، قال : كان أبو الحسن عليّ بن سليمان الأخفش (٣) مواصل المقام عند أبي عليّ بن مُقلة ، ويراعيه أبو علي ويبرّه ، فشكا اليه في بعض الأيام الاضاقة ، وسأله أن يكلم أبا الحسن عليّ بن عيسى (٤) ، وهو يومئذ وزير في أمره ، وسأله اجراء رزق عليه في جملة من يرتزق من أمثاله ، فخاطبه أبو علي في ذلك وعرّفه اختلال حاله وتعذّر القوت عليه في أكثر أيامه ، وسأل أن يجري عليه رزقاً في جملة الفقهاء ، فانتهره علي بن عيسى انتهاراً شديداً ، وأجابه جواباً غليظاً ، وكان ذلك في

---

(١) أبو علي محمد بن علي بن الحسين بن مقلة ، - ومقلة اسم أم لهم - كان معروفاً بجودة الخط الذي يضرب به المثل . كان في أول أمره يتولى بعض أعمال فارس ويجبي خراجها ، وتنقلت أحواله الى أن استوزره المقتدر بالله وخلع عليه سنة ٣١٦ هـ ، ثم قبض عليه سنة ٣١٨ هـ . ونفاه الى بلاد فارس بعد أن صادره . ثم استوزره القاهر بالله ، فبعث اليه رسولا يأمره الشخوص الى بغداد ، ولم يزل وزيره حتى أتهمه بمعاضدة علي بن بليق على الفتك به ، وبلغ الخبر ابن مقلة ، فاستتر وبقي حتى تولى الخلافة الراضي بالله سنة ٣٢٢ هـ ، فاستوزره ، ثم وشى به الواشون ، وكان ما كان من أمره ومحنته وتعذيبه ، فحبس وصودرت أملاكه وأسبابه ، ثم قطعت يده اليمنى ، وبكى عليها ، وقال : يد خدمت بها الخلافة ثلاث دفعات لثلاثة خلفاء ، وكتبت بها القرآن دفعتين ، تقطع كما تقطع أيدي اللصوص ! ، ثم قطع لسانه ، وناله من العذاب شيء كثير الى أن مات في سنة ٣٢٨ هـ .

(٢) مرت بنا أخباره . وهو الذي تولى علاج ابن مقلة حين قطع يده ولسانه .

(٣) هو الأخفش الصغير النحوي . كان حافظاً للأخبار . مات في بغداد سنة ٣١٥ هـ .

(٤) علي بن عيسى بن داود بن الجراح أبو الحسن . من أهل دير قنى . كتب في الدواوين ، وتقلد كثيراً منها رئاسة . وزر للمقتدر ، وللقاهر ، وتوفي سنة ٣٣٤ هـ . قال الصولي : لا أعلم أنه وزر لبني العباس وزير يشبهه في زهده وعفته وحفظه للقرآن ، ولا أعلم أني خاطبت أحداً أعرف منه بالشعر .

وقد خصه أحد المستشرقين بدراسة عميقة . أنظر :

Bowen (H.), The Life and Times of ‘Ali Ibn ‘Îas. (Cambridge, 1928).

مجلس حافل ومجمع كامل ، فشقّ على أبي عليّ ما عامله به ، وقام من مجلسه وقد اسودت الدنيا في عينيه ، وصار الى منزله لائماً لنفسه على سؤال عليّ بن عيسى ما سأله ، وحلف انه يجرد في السعي عليه ، ووقف الأخفش على الصورة واغتم ، وانتهت به الحال الى أن أكل الشلجم النيء ، وقيل انه قبض على قلبه فمات فجاءة ، وكان موته في شعبان سنة ٣١٥ »[1] .

* * *

أبو الريان حامد بن محمد الوزير[2]

« قال [هلال في كتاب الوزراء] » : وسمعت أبا الرّيان حامد بن محمد الوزير يقول لجدّي [ابراهيم الصابيء] وهما في مجلس أنس ، وأنا حاضر معهما ، لما انفذت القصيدة اللامية بالتهنئة عن قدوم عضد الدولة من الزيارة ، عرضتها عليه في وقت كان عبدالعزيز[3] بن يوسف غير حاضر فيه ، فقرأها ثم رفع رأسه اليّ والى عبدالله بن سعدان[4] ، وكنتُ آمنه عليك ، وأعلم ان اعتقاده

---

(١) معجم الأدباء (٥ : ٢٢٤ ـ ٢٢٥) .

(٢) أبو الريان حامد ـ وقيل حمد ، وقيل أحمد ـ بن محمد الأصبهاني . وزر لعضد الدولة . تواردت أخباره في السنوات ٣٦٩ حتى ٣٧٦ هـ . وكان أول عهده النظر في أمور الوزارة ، في سنة ٣٦٩ هـ : (تجارب الأمم ٢ : ٤٠٩ ـ ٤١٠) .
وقبض عليه بعد وفاة عضد الدولة في سنة ٣٧٢ هـ ، وبقي في الاعتقال حتى دنت سنة ٣٧٥ هـ ، فأطلق وعول عليه في الوزارة .
ومن أعماله المشكورة ما بذله مع طائفة من القرامطة : (تجارب الأمم ، حوادث سنة ٣٧٥ هـ) .
وفي تلك السنة قبض عليه وعلى أصحابه وأسبابه (ذيل تجارب الأمم ، ص ١١٨ ـ ١١٩) ، وخفي ذكره بعد ذلك ، حتى كانت سنة ٣٧٦ هـ ، حينما حصل شرف الدولة البويهي بمدينة السلام ، سأل عن أبي الريان وطلب ، فوجد ميتاً مدفوناً بقيوده : (ذيل تجارب الأمم ، ص ١٣٤) .

(٣) أبو القاسم عبدالعزيز بن يوسف الحكار ، كان كاتب الانشاء لعضد الدولة ، ثم وزر لأولاده . وهو من المقدمين في الأدب والشعر ، توفي سنة ٣٨٨ هـ .

(٤) ابن سعدان : أنظر « الذيل الرابع عشر » .

يوافق اعتقادي فيك . فقال : قد طال حبس هذا المسكين ومحنته ، فقبّلت أنا وهو الأرض عند ذلك ، فقال لنا : كأنكما تؤثران اطلاقه ، قلنا : ان من أعظم حقوقه علينا وذرائعه عندنا أن عرفناه في خدمتك ، وخالطناه في أيامك. قال : فاذا كان هذا رأيكما فيه ، فانفذا وافرجا عنه ، وتقدّما عنا بملازمة منزله الى أن يرسم له ما [يليق بمثله] . قال أبو ريان : فخرجتُ مبادراً ، وأنفذت لشكرستان[1] صاحبي ، وأنفذ ابن سعدان محمداً لأواتيه ، وانتظرتُ عودهما بما فعلاه من صرفك الى دارك ، فأبطآ عليّ . وكنت أعرف من عادة عضد الدولة أن يتقدم بالأمر ثم يسأل عنه ، فان كان قد فعل أمضاه ولم يرجع ، وإن تأخر فربما بدا له رأي مستأنف في التوقف عنه ، فدخلتُ الى عضد الدولة في عرض ما أطالعه به ، [فقلت له] : سمع الله في مولانا ما دُعي له ، فقال : ما تجدّد ؟ قلت : شاهد الناس أبا اسحاق الصابئ وقد أخرج من محبسه ، ومضى الى داره ، فأكثروا من الدعاء والشكر ، فسكت . وشغلت عضد الدولة علته[2] ، وما أفضى اليه من منيته عن النظر في أمره ، إلا انه وصل الى حضرته فيما بين الاطلاق واشتداد العلة في أيام متفرّقة ، فتفقّده بثياب ونفقات عدة دفعات »[3] .

* * *

أبو طاهر محمد بن بقية[4]

« وحدث هلال بن الحسن [في كتاب الوزراء] ، قال » : « حدثني جدي أبو اسحاق ، قال : كان أبو طاهر بن بقية واقفاً بين يدي عضد الدولة في سنة

---

(١) لشكرستان بن ذئ : أنظر « الذيل الخامس عشر » .

(٢) في شوال من سنة ٣٧٢هـ ، اشتدت علة عضد الدولة ، وهو ما كان يعتاده من الصرع ، فضعفت قوته عن دفعه ، فخنقه فمات منه يوم الاثنين ثامن شوال ، ببغداد .

(٣) معجم الأدباء (١ : ٣٣٥ ـ ٣٣٦) .

(٤) وزير عز الدولة البويهي ، وهو أول وزير لقب بلقبين ، فان المطيع لقبه بـ « الناصح » ، والطائع لقبه بـ « نصير الدولة » . واتفق له في بدء أمره أن

٣٦٤ هـ ، التي ورد فيها للمعاونة على الأتراك[1] . فقال لي عضد الدولة : لو عرضت علينا أبياتك الى أبي القاسم عبدالعزيز بن يوسف التي هي وأنشدها ، وكانت :

يا راكب الجسرة العيرانة الاجد ... تدمي مناسمها في الحزن والجدد
أبلغ أبا قاسم نفسي الفداء له ... مقالة من أخ للحقّ معتمد
أنصفت فيها ولم أظلم وما حسن ... بالمرء إلا مقال الحقّ والسدد
في كل يوم لكم فتح له خطر ... يشاد فيه بذكر السيد العضد
وما لنا مثله لكننا أبداً ... نجيبكم بجواب الحاسد الكمد
فأنت أكتب مني في الفتوح وما ... تجري مجيباً الى شاوي ولا أمدي
إذ لست تعرفها تأتيك من أحد ... ولست أعرفها تمضي الى أحد
وما ذممت ابتدائي إذ بدأتكم ... ولا جوابكم في القرب والبعد
وانما رمت أن أثني على ملك ... مستطرد بدليل فيه مطرد

= اتصل بصاحب مطبخ معز الدولة المعروف بـ « ثمله » وتدرج من حال الى حال حتى استعمله على كثير من الأعمال وفوضها اليه . ولما آل الأمر الى عز الدولة حسنت حاله عنده فاستوزره سنة ٣٦٢ هـ . ثم انه قبض عليه لسبب اقتضى ذلك ، وحاصله انه حمله على محاربة ابن عمه عضد الدولة ، فالتقيا على الأهواز ، وكسر عز الدولة ، فنسب ذلك الى رأيه ومشورته . وكان قبضه سنة ٣٦٦ هـ بمدينة واسط ، وسمل عينيه ولزم بيته . وكان في مدة وزارته يبلغ عضد الدولة عنه أمور يسوءه سماعها .

وبعد مقتل عز الدولة وملك عضد الدولة بغداد ، ودخلها . طلب ابن بقية وألقاه تحت أرجل الفيلة ، فلما قتل صلبه بحضرة البيمارستان العضدي ببغداد ، وذلك في يوم الجمعة لست خلون من شوال سنة سبع وستين وثلثمائة ، وعمره نيف وخمسون سنة . ولما صلب رثاه أبو الحسن محمد بن عمر الأنباري أحد العدول ببغداد بمرثيته المشهورة ، التي مطلعها :

علو في الحياة وفي الممات ... لحق أنت احدى المعجزات

ولم يزل مصلوباً الى أن توفي عضد الدولة ، فأنزل عن الخشبة ، ودفن في موضعه ، فقال فيه الشاعر المذكور ، أبياتاً مطلعها :

لم يلحقوا بك عاراً اذ صلبت بلى ... باؤا بإثمك ثم استرجعوا ندما

(١) أمر هذه الحرب مشهور في التاريخ . أنظر : تجارب الأمم (٢ : ٣١٠ وما بعدها ، والكامل في التاريخ (٨ : ٤٧٣ وما يليها) .

قال : فلما استتمها قال لأبي طاهر : ما قصد أبو اسحاق في هذه الأبيات ، وسمعها أبو طاهر صفحاً ، وقد كان شرب أقداحاً ولم يعلق بذكره من الأمر إلا ذكر المجلس . واشتهر خبرها عند كل أحد ، فلما عاد عضد الدولة الى شيراز ، سألني أبو طاهر بن بقية عنها ، وطالبني بانشادها اياه ، فلم يمكنني انكارها ، فغيرتها في الحال على هذا [الوجه] :

يا راكب الجسرة العيرانة الأجد ... تدمي مناسمها في الحزن والجدد
أبلغ أبا قاسم نفسي الفداء له ... مقالة من أخ للودّ معتقد
أنصفت فيها ولم أظلم ولا حسن ... بالمرء إلا مقال الحق والسدد
قد أعجبتك فتوح أتت كاتبها ... تردد السجع فيها غير منتئد
خلا لك الجوّ إذ أصبحت منتشياً ... تشدو بها طرباً كالطائر الغرد
تروعني كل يوم منك رائعة ... تبغي الجواب لها من موجع كمد
فأنت أكتب مني في الفتوح وما ... تجري مجيباً الى شاوي ولا أمدي
أعطيتني شرّ قسميها وفزت بما ... فيه الفوائد من قرب ومن بعد
فاشكر الاهك واعذرني فقد صديت ... قريحتي من زمان مقرف نكد

ثم سعي بأبي اسحاق إلى عز الدولة حتى قبض عليه[1] بعد أن أعطاه أماناً كتبه ابن بقية بيده ، ولم يستقص ابن بقية عليه لحق كان قد أوجبه عليه أيام كون عضد الدولة ببغداد ، فكتب أبو اسحاق إلى ابن بقية من الحبس :

ألا يا نصير الدين والدولة الذي ... رددت اليها العزّ إذ فات ردّه
أيعجزك استخلاص عبدك بعدما ... تخلصت مولاك الذي أنت عبده[2]

* * *

---

(١) قبض عليه في يوم السبت لأربع بقين من ذي القعدة سنة ٣٦٧ هـ ، وأفرج عنه يوم الأربعاء لعشر بقين من جمادى الأولى سنة ٣٧١ هـ ، فكان مدة حبسه ثلاث سنين وسبعة اشهر واربعة عشر يوماً . راجع تفصيل ذلك في معجم الأدباء (١ : ٣٢٩ ـ ٣٣١) ، وذيل تجارب الأمم (ص ٢١ ـ ٢٢) .

(٢) معجم الأدباء (١ : ٣٤٣ ـ ٣٤٥) .

أبو العباس أحمد بن محمد بن ثوابة بن خالد [١]

« ومن كتاب الوزراء لهلال بن المحسن » : « حدّث علي بن سليمان الأخفش ، قال : ذكر لي المبرّد ، انه كان في يوم نوبة له عند أبي العباس أحمد بن محمد بن ثوابة ، حتى دخل عليه غلامه وفي يده رقعة البحتري ، فقرأها أبو العباس ووقع فيها توقيعاً خفيفاً ، وأمر باصلاحها ، فأصلحت وأعيدت اليه . قال المبرد : فرمى بها إليّ فاذا بها :

اسلم أبا العباس وابـ ـق فلا أزال الله ظلك
وكن الذي يبقى لنا ونموت حين نموت قبلك
لي حاجة أرجو لهـا احسانك الأوفى وفضلك
والجد مشترط عليـ ـك قضاءها والشرط أملك
فلئن كفيت ملمهـا فلمثلها أعددت مثلك [٢]

قال : وإذا قد وقّع أبو العباس مقضية والله الذي لا إله إلاّ هو، ولو أتلفت

---

(١) كان ابن ثوابة في بدء أمره كاتباً لبايكباك التركي ، من أكابر قواد الخليفة المهتدي ، وبقي زمناً يكتب له . وتولى كتابة الانشاء في دار الخلافـة العباسية ببغداد السنين الكثيرة ، وجرى مجرى الوزراء . وكان أبو العباس هذا ، من الثقلاء البغضاء ، له كلام مستهجن مستثقل (معجم الأدباء ٢ : ٣٦ ـ ٣٨) . وكانت بين أبي الصقر اسماعيل بن بلبل الوزير وبين ابن ثوابة وحشة شديدة ، ثم ضرب الدهر من ضربه ، فدخل ابن ثوابة على أبي الصقر واعتذر اليه ، فقلده طساسيج بابل وسورا وباروسما . فما زال والياً الى أن توفي سنة ٢٧٣ ﻫ وقيل سنة ٢٧٧ ﻫ .

مدحه البحتري بقصيدة . أنظر الديوان (١ : ١٢٥ ـ ١٢٦ ، طبع الجوائب ، القسطنطينية سنة ١٨٨٢) .

(٢) الأبيات وردت في ديوان البحتري (١ : ١٥٨ ، طبع الجوائب = ٢ : ١٧٩ ، طبع مصر سنة ١٩١١) باختلاف يسير في بعض الكلمات . والمخاطب يسمى « ابن بسطام » ولعله أبو العباس بن بسطام ، الذي مدحه البحتري بقصيدة طويلة (الديوان ١ : ١٢٧ ـ ١٢٩ ، الجوائب) .

المال ، وأذهبت الحال ، فقل رعاك الله ما شئت منبسطاً ، وثق بما أنا عليه لك مغتبطاً إن شاء الله تعالى »[١].

* * *

علي بن عيسى

من أخباره المنثورة (؟)

« ذكر هلال بن المحسن [في كتاب الوزراء] » « ان رجلاً كان يقال له أبو العجب لم يُر مثله في ما كان يعمل من الشعبذة . دخل يوماً الى دار المقتدر بالله فرأى خادماً من خواصه يبكي على بلبل مات له ، فقال له : ما عليك أيها الأستاذ إذا أحييته ؟ فقال : ما تريد . فأخذ البلبل الميت فأدخله كمه وأدخل رأسه وأخرج بعد ساعة بلبلاً حياً ، فماجت الدار وعجب الحاضرون ، فاستدعاه علي بن عيسى [الوزير] ، وقال : والله إن لم تصدقني عن حقيقة الأمر لأضربن عنقك فقال اني شاهدت الخادم يبكي على بلبله فطمعت بما آخذه منه فمضيت في الحال الى السوق وابتعت بلبلاً وخبأته في كمي وعدت الى الخادم فقلت ماقلت وأخذت البلبل الميت وأدخلت رأسه في كمي وأكلته وأخرجت الحي فلم يشك انه بلبله وهذا رأس الميت »[٢].

* * *

---

(١) معجم الأدباء (٢ : ٤٠ – ٤١) .

(٢) كتاب الاذكياء لابن الجوزي (ص ٩٠ ، طبعة قسطاكي الحمصي ، مصر) .

ذيول الكتاب

الذيل (الأول)

« مشرعة باب البستان ببغداد »

(راجع : الصفحة ٧ الحاشية ١)

باب البستان موضع كان في المخرّم بالجانب الشرقي من بغداد أيام بني العباس ، وبطرفه مقبرة ، عُرفت بمقابر باب البستان . وعلى الشط من هذا الموضع دار للوزير علي بن عيسى ، مشهورة كثيراً ، وأخرى لأحمد بن بدر عم السيدة أم المقتدر بالله . وكان أبو إسحاق ابراهيم الصابيء ، جدّ هلال ، إبتاع دار عبيد الله بن القاسم من أبي الحسن بن أبي عمرو الشرابي حاجب الخلافة ، بخمسة آلاف دينار ، وهي بباب البستان ، وسميت بالشاطئة ، وكانت مسناتها طاعنة في دجلة لا يفارقها الماء في سائر أوقات السنة . وهذا البستان هو المعروف بالزاهر ولعله كان متصلاً بالموضع المعروف اليوم بـ «المجيدية» من بغداد

* * *

الذيل (الثاني)

« درب سليمان ببغداد »

(راجع : الصفحة ٣٢ الحاشية ٥)

درب سليمان : بالجانب الغربي من بغداد ، كان يقابل الجسر ويقرب منه ، في أيام المهدي والهادي والرشيد . وهو منسوب الى سليمان بن جعفر بن أبي جعفر المنصور . المتوفى سنة ١٩٩ للهجرة . ويقع قصره في هذا الشارع قبالة رأس الجسر [١] .

(١) أنظر : تاريخ الطبري (٣ : ١٦٦٣ ، ١٦٦٥) ، ومقدمة تاريخ بغداد للخطيب =

الذيل (الثالث)

« دار أبي اسحاق الصابىء ببغداد »

(راجع: الصفحة ٣٣ الحاشية ٤)

كانت من الدور المشهورة ببغداد. قال هلال الصابىء: « وكان أبو اسحاق ابراهيم بن هلال جدّي، ابتاع دار عبيد الله بن القاسم من أبي الحسن بن أبي عمرو الشرابي حاجب الخلافة، بخمسة آلاف دينار، وكانت مسنّاتها طاعنة في دجلة لا يفارقها الماء في سائر أوقات السنة »(1). وجاء ذكر هذه الدار في حوادث سنة ٣٧٢ هـ. قال الوزير أبو شجاع « حدّث أبو اسحاق ابراهيم بن هلال الصابىء، قال: لما ورد عضد الدولة في الدفعة الثانية، خرجتُ لاستقباله الى المدائن وخدمته، وخفتُ أن يتطرّق على داري الشاطئة، التُرك في سورة الدخول، لأنني من حواشي البختيارية، وسألته انفاذ من يحرسها، فأنفذ معي أحد النقباء الأصاغر، وتقدمتُ عائداً والنقيب معي. فكان يمضي أكثر النهار في أشغاله. فاتفق أن هجم على الدار أحد القوّاد الأكابر وطرح أصحابه أحمالهم وفرشوا فرشهم وربطوا دوابهم، وتقدّموا الينا بالانتقال، فأيسنا من دورنا ومضى غلماني يطلبون النقيب، فلما حضر سلّم على القائد وقبّل يده ووقف بين يديه وأخذ يحادثه، ثم قال له الديلمي: فيم جئتَ؟ قال: أنفذني الملك لأحفظ هذه الدور ممن يتعرض لها. فقال له: هذا كاتب من أصحاب

= (ص ٣٤)، والأوراق للصولي (٢ : ٢٠٩)، ومعجم البلدان (٢ : ٥٦٣)، ومراصد الاطلاع (١ : ٣٩٧)، و:
LE STRANGE : BAGHDAD DURING THE ABBASID CALIPHATE. P. 108.

(1) تحفة الأمراء (ص ٢٨٧ – ٢٨٨).

بختيار فأي شيء بينه وبين الملك ؟ قال : كان يخدمه وله مواضع عنده . قال أبو اسحاق : فوالله ما استتم النقيب كلامه حتى نهض القائد الديلمي ورمى بكرسي كان جالساً عليه ، وقال لغلمانه : ارفعوا . وركب في الحال وخرجوا بعده ، فما رأيتُ هيبة أعظم من هيبته »(١) .

* * *

الذيل (الرابع)

« البريديون »

(راجع : الصفحة ٣٨ الحاشية ١)

البريديون في الأصل ثلاثة أخوة وهم : أبو عبدالله أحمد، وأبو يوسف يعقوب، وأبو الحسين علا شأنهم أيام ضعف دولة بني العباس في عهد المقتدر ومن بعده .

ورأس هذه الأسرة أبو عبد الله أحمد . كان هؤلاء الثلاثة في بدء أمرهم كتاباً ، ثم تقلدوا بعض المناصب في الدولة ، ولم يقنعوا بها ، فعسفوا وظلموا ، وامتدّت أيديهم وأيدي أتباعهم الى أموال الناس وأملاكهم وأسبابهم، وتعدّى ذلك الى الخروج عن طاعة الخليفة أو طاعة السلطان، وكان يوم ذاك معزّ الدولة ، فاستولوا على بغداد زمناً ، وعلى واسط ، وعلى البصرة . وحينما حصلوا في البصرة ، اضطروا الى قتال صاحب عمان قتالاً كثير النفقة ، وكان ذلك في سنة ٣٣١ هـ ، فأشعلوا النار في مراكبه ، فارتدّ الى عمان .

واستنفدت هذه الحروب وغيرها ثروة أبي عبدالله ، فلم يتردد في قتل أخيه أبي يوسف ليحصل على أمواله وأسبابه ، غير انه لم يطل أجله ، فمات في سنة ٣٣٢ هـ .

---

(١) ذيل تجارب الأمم (ص ٥٣) .

أما أبو الحسين ، فانه ذهب الى بغداد ، وقُبض عليه ، فضُربت عنقه في عام ٣٣٣ ﻫ ، واضمحل أمر البريديين من بعد ذلك .

* * *

الذيل (الخامس)

« سبب وفاة المهلبي »

(راجع : الصفحة ٣٨ الحاشية ٣)

حكى مسكويه — وهو مؤرخ ثقة عاصر المهلّبي — في خبر العلّة . قال في أحداث سنة ٣٥٢ ﻫ : « ومنها خرج الوزير أبو محمد المهلبي ومعه الجيش لفتح عمان ، وذلك يوم الأربعاء لست خلون من جمادى الآخرة ، فانحدر وبلغ الى هلتي [١] من فم البحر ، واعتلّ ؛ فكنتُ أسمع من طبيبه فيروز بانه مسموم لا محالة ، وكنت أسأله عمن سمّه فلا يصرح باسمه ، الى أن كان بعد ذلك بمدة وانقضت تلك الأيام فذاكرته بذلك ، فقال : كان خرج معه فرج الخادم وكان أستاذ داره والمستولي على خاصّ أمره ومعه جماعة من الخدم يطيعونه ، وكان قد فارق نعمة ضخمة وخرج من خيش وثلج وتنعّم ، الى حرّ شديد وشقاء كثير ، وتوجه الى عمان فواطأ الخدم على سمّه وقتله والراحة من ذلك السفر ، وظنوا انهم يسلمون ويعودون الى نعمهم . وكان فيروز الطبيب لما أحسّ بذلك استأذن في العودة الى بغداد وزعم انه لا يركب البحر ، فأرغب في مال كثير ، فامتنع ثم أرهب بالحبس فصبر ، وقال : لا أخرج البتة ، فأذن له وانصرف . فلما كان في النصف من شعبان ثقل وردّ الى الأبلة زائل العقل مسبوباً فيئس منه ، وعملت له آلة شبه المحفّة يحمله أربعون رجلاً يتناوبون عليه وينام

---

(١) في معجم البلدان (٤ : ٩٧٩) : « هلتا » .

فيها ، وردّ على طريق البرّ . فلما كان يوم السبت لثلاث بقين من شعبان وقت العصر ، مات رحمه الله بزاوطا »[١] .

* * *

الذيل (السادس)

« النوروز و المهرجان »

(راجع : الصفحة ٣٩ الحاشية ١ و ٢)

النوروز ، ويقال فيه النيروز والناروز ، جمعه النواريز : أعظم أعياد الفرس وأجلّها . يقال ان أول من اتخذه جمشيد أحد ملوك الفرس الأول . وسبب اتخاذهم لهذا العيد ، ان طهومرث لما هلك ، مَلَك بعده جمشيد ، فسمي اليوم الذي ملك فيه « نوروز » أي اليوم الجديد . ومدته عندهم ستة أيام ، أولها اليوم الاول من شهر أفريدون ماه ، الذي هو أول شهور سنتهم .

أما المهرجان ، فيجمع على مهاريج ، وهو من الأعياد الجليلة عند الفرس ، وقوعه في السادس عشر من مهرماه من شهور الفرس ، وبين النوروز وبينه مائة وأربعة وتسعون يوماً . وهو ستة أيام ، ويسمى اليوم السادس المهرجان الأكبر .

وقد صنّف غير واحد من الكتبة الأقدمين ، كتباً في هذين العيدين . لم يصل الينا منها سوى أسمائها[٢] .

* * *

---

(١) تجارب الأمم (٢ : ١٩٦ - ١٩٧) .

(٢) أنظر . معجم الأدباء (٥ : ٤٣١ و ٤٤٠) ، وكشف الظنون (٢ : ٢٠٠ ، استانبول) ، وخزائن الكتب في دمشق وضواحيها للأستاذ حبيب زيات (ص ٢٩ ، مصر ١٩٠٢) .

الذيل (السابع)

« ديوان الرسائل »

(راجع : الصفحة ٤٢ الحاشية ١)

ديوان الرسائل ، سُمي في بعض العصور بـ« ديوان الانشاء » ، ويُعدّ هذا الديوان من أخطر الدواوين في الدول الاسلامية ، فيه تُكتب السجلات والعهود وكتب التقليدات . ولُقّب متولّيه بصاحب ديوان الرسائل أو متولي ديوان الرسائل . واشتهر بسعة العلم ورصانة الأسلوب . ومرتبته أرفع مرتبة ، ومحله أعظم محل ، اليه تُلقى أسرار المملكة وخفاياها وبرأيه يُستضاء في مشكلاتها ؛ واليه ترد المكاتبات وعنه تصدر . وكثيراً ما كان يجلس مع الخليفة في مجلس القضاء للنظر في المظالم وختم الأحكام بخاتم الخليفة .

* * *

الذيل (الثامن)

« ديوان المظالم »

(راجع : الصفحة ٤٢ الحاشية ٢)

ذكر الماوردي ان « نظر المظالم هو قَوْد المتظالمين الى التناصف بالرهبة ، وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة . فكان من شروط الناظر فيها أن يكون جليل القدر ، نافذ الأمر ، عظيم الهيبة ، ظاهر العفة ، قليل الطمع ، كثير الورع »[1] .

وكان عبد الملك بن مروان أول من أفرد للظلامات يوماً يتصفح فيه قصص

---

(١) الأحكام السلطانية (ص ٦٤ وما يليها ، طبع مصر سنة ١٩٠٩) .

المتظلمين . ثم جلس لها المهدي ، ثم الهادي ، ثم الرشيد ، ثم المأمون . وآخر من جلس لها المهتدي . ثم جلس لها ولاة المظالم .

* * *

الذيل (التاسع)

« ديوان المعاون »

(راجع : الصفحة ٤٢ الحاشية ٣)

المعاون : جمع المعونة . وصاحب المعونة ـ قيل في تسميته : عامل المعونة ، ووالي المعونة ، ومتولي المعونة ، وصاحب البلد (وبالفرنسية Commissaire de Police) : هو الأمير دون الحاكم[١] ، والمرتب لتقويم أمور العامة ، فكأنه معين المظلوم على الظالم ، يعني الوالي ، أي والي الجنايات[٢] . والمعونة ما يظهر من قبل العوام تخليصاً لهم من المحن والبلايا[٣] .

وكان منصب صاحب المعونة ، يُضم عادة الى صاحب الجند والحرب[٤] . وكثيراً ما كان يُطلب الى أصحاب المعاون مساعدة القضاة والحكام ، ومعونتهم بما يقضي بلمّ شمل الصلاح في تنفيذ القضايا والانتظام[٥] . وللمعاون ديوان يضم الأمير وجملة من كتاب المعونة ، يسمى « دار المعونة »[٦] . ولهم أيضاً « حبس المعونة »[٧] .

* * *

---

(١) الأحكام السلطانية للماوردي (ص ٢٦) .

(٢) مقامات الحريري (ص ٢٢٧ طبع باريس ١٨٢٢) .

(٣) التعريفات للجرجاني (ص ٣٣٤ طبعة فلوجل . ليبسك ١٨٤٥) .

(٤) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري لمتز (١ : ١٣٤ ، الترجمة العربية) .

(٥) صبح الأعشى (١٠ : ١٥٠) .

(٦) تاريخ ابن الوردي ، حوادث سنة ٥٦٦ هـ (٢ : ٧٩ ، مصر ١٢٨٥ هـ) .

(٧) تكملة المعجمات العربية لدوزي (٢ : ١٩٢) .

الزيل (العاشر)

« النقرِس »

(راجع : الصفحة ٤٩ الحاشية ٣)

النقرِس : داء معروف يأخذ في الرجل . وهو ورم يحدث في مفاصل القدم وفي ابهامها أكثر . قيل فيه انه داء أهل الترف والنعم [1] .

وكان أبو الفضل بن العميد يحضر الديوان في محفّة لسوء أثر النقرس على قدمه ، فقال فيه أبو جعفر محمد بن العباس بن الحسين الوزير ، وكان يحسده :

يا ذا الذي ركب المحـ ـفة جامعاً فيها جهازه
أتُرى الاله يعيشني حتى يريَنيها جنازة

وقوله فيه وقد استوزر والديوان برسمه :

اقول وقد سرنا وراء محفّـة وفيها أبو عبد الاله كسيرا
شقاؤك من شكواك ثم شقاؤنا من أيام سوء قدّمتك وزيرا
ترقيك من هذي المحفة حية الى النعش محمولاً تصرّ صريرا

ودخل أبو بشر الفارسيّ الحافظ ، وكان متقدماً في علم العربية ، متأخراً في قول الشعر ، عليه يوماً وقد هاج به النقرس ، فأنشده :

شكى النقرس نقريس أخو علم وقطيس
فما دام لكم قوس فنفسي لكم جوس

فقال له : يا أبا بشر هذه رقية النقرس .

قال ياقوت : « وكان أبو الفضل يركب العماريات في الطريق ولا يستقل على ظهور الدواب لافراط علة النقرس وغيره عليه » [2] .

---

(١) شفاء الغليل (ص ٦٢ ، المطبعة الوهبية . مصر ١٢٨٢ ﻫ) .
(٢) معجم الأدباء (٥ : ٣٧٠) .

الذيل (الحادي عشر)

« لهو أبي الفتح بن العميد »

(راجع: الصفحة ١٥١ الحاشية ١)

ذكر مسكويه ما جناه أبو الفتح بن العميد على نفسه وميله الى الهوى واللعب حتى تأدى أمره الى الهلاك. فمما قاله في هذا الشأن: « لما خرج عضد الدولة الى فارس، طابت بغداد لأبي الفتح بن العميد، وأحب الخلاعة والدخول مع بختيار في أفانين لهوه ولعبه، ووجد خلو ذرع من أشغاله وراحة في تدبير أمر صاحبه ركن الدولة مدة، وحصلت له زبازب ودور على الشط وستارات غناء محسنات، وتمكن من اللذات. وعرف بختيار له ما صنع من الجميل في بابه وانه خلصه من مخاليب السبع بعد أن افترسه، وان سعيه بين ركن الدولة وبينه هو الذي ردّ عليه روحه وملكه. فبسطه وعرض عليه وزارته، ... ولكن الغلط القبيح من أبي الفتح كان انه أقام مدة طويلة ببغداد وطمع في أملاك اقتناها هناك وإقطاعات حصّلها وأصول أصّلها على العود إليها. ثم التمس لقباً من السلطان وخلعاً وأحوالاً لا تشبه ما فارقه عليه عضد الدولة، ... فلما عرف عضد الدولة حقيقة الأمر ومخالفة أبي الفتح بن العميد له، ودخوله مع بختيار فيما دخل فيه مع اللقب السلطاني الذي حصّله وهو ذو الكفايتين ولبسه الخلع، وركوبه ببغداد مع ابن بقية في هذه الخلع، عرف مكاشفته إياه بالمداوة وكتم ذلك في نفسه الى أن تمكن منه فأهلكه ... »[1].

* * *

(١) تجارب الأمم (٦ : ٣٥٢ - ٣٥٤).

الذيل (الثاني عشر)

« صاحب البطيحة »

(راجع : الصفحة ٦١ الحاشية ٤)

هو الحسن بن عمران بن شاهين ، كان والده عمران في بدء أمره صياداً من أهل الجامدة من أعمال واسط ، يصطاد الأسماك وطيور الماء ، ثم صار يقطع طريق البطيحة ، وانضم اليه جماعة من اللصوص والصيادين ، وصاروا يعيثون فساداً . خرج على معز الدولة وهزم عساكره مراراً ، وتوفي فجأة في محرم سنة ٣٦٩ هـ . وكانت ولايته بعد أن طلبه الملوك والخلفاء ، وبذلوا الجهد في أخذه وأعملوا الحيل ، أربعين سنة ، فلم يقدرهم الله عليه . ومات حتف أنفه ، وولي مكانه ابنه الحسن ، فتجدد لعضد الدولة طمع في أعمال البطيحة ، فجهز العساكر مع وزيره المطهر بن عبدالله ، ولكن المطهر قتل نفسه ، فأنفذ عضد الدولة عبيدالله بن الفضل للايقاع بصاحب البطيحة وتقرير أمره ، فانحدر ووفى بما أمر وحمل مالاً من قبل الحسن بن عمران وتسلم منه رهينة ، واكتفى بجميع ذلك .

* * *

الذيل (الثالث عشر)

« كتاب (التاج) لأبي اسحاق الصابيء »

(راجع : الصفحة ٦٢ الحاشية ٤)

كان عضدالدولة في مورده الثاني الى الحضرة ، في سنة ٣٦٩هـ (= ٩٧٩م) ، سأل الخليفة الطائع لله أن يزيد في لقبه « تاج الملة » ، ويجدد الخلع عليه ويلبسه التاج المرصع بالجواهر ، فأجابه الى ذلك في احتفال عظيم .

فصار يلقب بـ « عضد الدولة وتاج الملة » وإلى هذا اللقب الثاني نُسب الكتاب الذي ألّفه له أبو اسحاق الصابىء الموسوم بـ « التاجي » .

قال أبو شجاع : « ... وعمل أبو اسحاق [الصابىء] الكتاب الذي سماه التاجي في الدولة الديلمية ، فكان إذا عمل منه جزءاً حمله إلى عضد الدولة حتى يقرأه ويصلحه ويزيد فيه وينقص منه، فلما تكامل ما أراده حُرر وحُمل كاملاً إلى خزانته . وهو كتاب بديع الترصيف حسن التصنيف ، فان أبا اسحاق كان من فرسان البلاغة الذين لا تكبو مراكبهم ولا تنبو مضاربهم . ووجدنا آخره موافقاً لآخر كتاب تجارب الأمم ، حتى ان بعض الألفاظ تتشابه في خاتمتها . وانتهى القولان في التاريخ بهما إلى أمد واحد . والكتاب موجود يغني تأمله عن الاخبار عنه »[1] .

وتُرجم أيضاً بـ « التاج » و « المتوّج في العدل والسياسة » . ونقل عنه الثعالبي[2] والبيروني[3] .

وكان ماكان من أمره وتضارب القول فيه ، فمن قائل « ان أبا اسحاق شرع في محبسه في كتاب التاجي في أخبار بني بويه »[4] . واجتمعت الكلمة على ان عضد الدولة « أمر أبا إسحاق بتأليف كتاب في أخبار الدولة الديلمية ، يشتمل على ذكر قديمه وحديثه ، وشرح سيره وحروبه وفتوحه ، فامتثل أمره ، وافتتح كتابه المترجم بالتاجي ، فاشتغل في منزله به ، وأخذ يتأنق في تصنيفه وترصيفه ، وينفق من روحه على تقريظه وتشنيفه . فرفع الى عضد الدولة ان صديقاً للصابىء دخل عليه يوماً فرآه في شغل شاغل من التعليق والتسويد

---

(١) ذيل تجارب الأمم (ص ٢٣) .
(٢) يتيمة الدهر (٢ : ٢٠٣ ـ ٢٠٤) .
(٣) الآثار الباقية عن القرون الخالية (ص ٣٨ ، طبعة سخو ، ليبسك سنة ١٨٧٨) .
(٤) معجم الأدباء (١ : ٣٢٥) .

والتبديل والتبييض ، فسأله عما يعمله من ذلك ، فقال أباطيل أُعَمِّقها ، وأكاذيب ألفّقها ، فانضاف تأثير هذه الكلمة في قلب عضد الدولة الى ما كان في قلبه من أبي اسحاق ، وحرّك من ضغنه الساكن ، وأثار من سخطه الكامن ، فأمر أن يُلقى تحت أرجل الفيلة . فأكب نصر بن هرون ، ومطهر بن عبدالله ، وعبدالعزيز بن يوسف ، على الأرض يقبّلونها بين يديه ويستشفعون إليه في أمره ، ويتلطفون في استيهاب دمه ، الى أن أمر باستحيائه من القبض عليه وعلى أشيائه ، واستئصال أمواله . فبقي في ذلك الاعتقال بضع سنين الى أن تخلّص في آخر أيام عضد الدولة ، وقد رزحت حاله وتهتك ستره »[1].

ولا بد لنا ونحن بصدد هذا الكتاب ، أن نشير الى وَهم ورد في معجم الأدباء لياقوت ، إذ قال : « وله [لأبي سعيد سنان بن ثابت بن قرّة] من التصانيف : التاجي في أخبار آل بويه ومفاخر الديلم وأنسابهم ، ألّفه لعضد الدولة بن بويه ... »[2] .

وقد انجرّ ابن أبي أصيبعة الى هذا الوهم أيضاً . قال في طبقات الأطباء : « ... ولأبي سعيد سنان بن ثابت بن قرّة من الكتب ... السيرة وهي في أجزاء تعرف بكتاب التاجي . صنّفه لعضد الدولة وتاج الملة ، تشتمل على مفاخره ومفاخر الديلم وأنسابهم وذِكر أصولهم وأسلافهم »[3].

والغالب أن كلا المؤلفين نقل ذلك عن ابن النديم ، مع العلم أنّ أسماء كتب سنان سقطت من نسخة الفهرست المطبوعة .

والمعلوم أن أبا سعيد سنان بن ثابت بن قرّة ، توفي سنة ٣٣١هـ. أما عضدالدولة فانه ولد في سنة ٣٢٥ هـ ، وملك بغداد سنة ٣٦٤ هـ . وهذا الاختلاف في السنين يجعل ما ذهب اليه هؤلاء الكتبة بعيداً عن الصحة .

---

(١) يتيمة الدهر (٢ : ٢٢١ — ٢٢٢) .
(٢) معجم الأدباء (٤ : ٢٥٧) .
(٣) عيون الأنباء في طبقات الأطباء (١ : ٢٢٤) .

الذيل (الرابع عشر)

« ابن سعدان »

(راجع : الصفحة ٦٦ الحاشية ٤)

لعله « أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن سعدان » ، الذي استوزره صمصام الدولة البويهي سنة ٣٧٣ هـ ، لما تقلد الأمور بعد وفاة أبيه عضد الدولة . قال أبو شجاع في أخبار سنة ٣٧٣ هـ : « وفيها خلع على أبي عبدالله الحسين بن أحمد بن سعدان، خلع الوزارة . وكان رجلاً باذلا لطعامه ، مانعاً للقائه ، فلا يراه أكثر من يقصده إلاّ ما بين نزوله من درجة داره الى زبزبه[1] ، ومع ذلك فلا يخيّب طالب احسان منه في أكثر مطلبه ... »[2] .

وقد ظل ابن سعدان في الوزارة الى سنة ٣٧٥ هـ ، حتى ظهر له خصم هو أبو القاسم عبدالعزيز بن يوسف ، فظل يكيد له حتى تم له ما أراد ، فقبض على ابن سعدان وأصحابه وأودعوا السجن ، واستوزر صمصام الدولة هذا الواشي أبا القاسم عبدالعزيز بن يوسف ، ولم يكتف أبو القاسم بحبس ابن سعدان ، فانتهز فرصة خروج ثائر على صمصام الدولة ، اسمه « أسفار بن كردويه » يريد خلعه ، فدسّ أبو القاسم الى صمصام الدولة ان ابن سعدان متصل بهذا الثائر ، وان الذي جرى كان من فعله وتدبيره ، وانه لا يُؤمَن ما يتجدد منه في محبسه . فأمر صمصام الدولة بقتله ، فقُتل سنة ٣٧٥ هـ[3] .

وابن سعدان هذا ، هو الوزير الذي قصده أبو حيان التوحيدي ، واتصل به ، وألف له كتاب « الصداقة والصديق » . ـ وقد أسهب أبو حيان في كتاب « الامتاع والمؤانسة » في خبر اتصاله بابن سعدان وصداقته له .

* * *

---

(١) الزبزب : ضرب من السفن النهرية في العصر العباسي .

(٢) ذيل تجارب الأمم (ص ٨٥) .

(٣) تتبع ذلك في ذيل تجارب الأمم (ص ٩٧ ـ ١٠٧) .

الذيل (الخامس عشر)

«لشكرستان بن ذكي»

(راجع : الصفحة ٦٧ الحاشية ١)

لشكرستان بن ذكي ، قائد صمصام الدولة البويهي . قال أبو شجاع : « كان لشكرستان ذا نفس أبية وهمة عالية ، ولم يزل يلوح من شمائله في بدء أمره ما يدل على ارتفاع منزلته وقدره . وهو من جملة من انحاز عن بهاء الدولة الى صمصام الدولة ، وحصل مع العلاء بن الحسن بالأهواز ... »[1].

وتواردت أخبار لشكرستان في سنة ٣٨٦ هـ ، حينما ملك البصرة ، وانصرف أصحاب بهاء الدولة عنها . ولما حصل بها بطش بأهلها ، فقتل وسفك ، وخرج الناس على وجوههم لفرط الهيبة الواقعة في نفوسهم ، ومدّ يده الى أموال التجار ، فخرب البلد وتشرّد كل من فيه . ثم عدل فيهم وأحسن السيرة بهم وخفف الوطأة عنهم[2].

---

(١) ذيل تجارب الأمم (ص ٢٨١) .

(٢) طالع أخبار لشكرستان في : ذيل تجارب الأمم (ص ٢٧١ ـ ٢٧٤) ، والكامل في التاريخ (٨ : ٨٧ ، ٨٨ ، ١٢٨) .

فهارس الكتاب

الفهارس

— ١ —

(فهرس الأشخاص والأقوام)

فهرس الأشخاص والأقوام

(ف)

(ق)

(ك)

فهرس الأشخاص والأقوام

* * *

— ٢ —

(فهرس الأمكنة والمواضع)

فهرس الأمكنة والمواضع

فهرس الأمكنة والمواضع

* * *

— ٣ —

(فهرس أسماء الكتب والرسائل « من مطبوعة ومخطوطة » والمقالات والمجلات والجرائد) (*)

(*) ق = مقالة
م = مجلة
ج = جريدة

فهرس أسماء الكتب والرسائل (من مطبوعة ومخطوطة) والمقالات والمجلات والجرائد

***

— ٤ —

(فهرس الألفاظ الدخيلة والمصطلحات وما الى ذلك)

(فهرس محتويات الكتاب)

الصفحة

* * *

(التصحيحات المطبعية)

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣	١٣	الجماعة	الجملة
٣	١٦	احدى	أحد
١٢	١٠	تاريخ سنان	تاريخ ثابت بن سنان
٢٧	السطر الثاني من الحاشية	بفيروز آباد	بفيروز آباد
٣٣	السطر الأول من الحاشية	الرا عة	الرابعة
٣٥	١٦	العارسية	الفارسية
٣٩	١٠	وصيانهتم	وصيانتهم
٤٥	السطر الثالث من الحاشية	لعة العرب	لغة العرب
٤٨	١٥	في لحال	في الحال
٤٨	السطر الأخير	البدائة	البدائه
٥٣	السطر الرابع من الحاشية	مساوى،المتنبي،	مساوىء شعر المتنبيء
٧٦	٨	مللك	ملك

استدراكات وتصحيحات

بعد أن فرغنا من طبع ما تقدم من هذا الكتاب، أطلعنا صديقنا الأستاذ المحقق الدكتور مصطفى جواد عليه ، فأعلمنا ان هناك أخباراً أخرى ساقطة من كتاب « الوزراء » لهلال الصابىء ، غير ما جمعناه ، أوردها المؤرخان : ابن النجار[1] ، وابن الفوطي[2] .

وقد تكرم علينا هذا الصديق ، فاستخرج لنا هذه الأخبار الضائعة من مظانها ، لنضمها إلى الكتاب ، فعلقنا عليها ما يستوجب شرحه . كما تكرم بملاحظات بدت له أثناء مطالعته لكتابنا .

فالشكر واجب للاستاذ المحقق على ما أتحفنا به . وقد أدرجنا ذلك بنصه مسبوقاً بعلامة (*) .

كذلك بعثنا بنسخة منه ، الى الأستاذ العلامة الكبير حبيب زيات ، فقرأه وتفضل علينا بملاحظات ثمينة نشكره عليها غاية الشكر . وقد أثبتناها هاهنا مسبوقة بحرف (ح) .

وما لم يكن مسبوقاً بهذه العلامة (*) ولا بحرف (ح) ، فهو لنا .

---

(١) توفي ابن النجار في سنة ٦٤٣ هـ (١٢٤٥ م) . وقد صنف جملة كتب ، أشهرها « ذيل تاريخ بغداد » ، ويسمى أيضاً « التاريخ المجدد » ذيل به تاريخ بغداد للخطيب . وقد وصفه باسهاب كوركيس عواد في بحثه « ما سلم من تواريخ البلدان العراقية » المنشور في المقتطف (نوفمبر ١٩٤٤ ، ص ٣٧٣ ـ ٣٧٤) .

(٢) توفي ابن الفوطي في سنة ٧٢٣ هـ (١٣٢٣ م) . وله تآليف عديدة ، منها « مجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب » . المجلد الرابع منه بخط المؤلف في الخزانة الظاهرية بدمشق ، وعنها صورت نسخة بالفتغراف ، هي اليوم في خزانة كتب المتحف العراقي ، وعن هذه انتسخ الدكتور مصطفى جواد نسخة لنفسه .

الموفق عمدة الملك الحسن بن محمد بن اسماعيل الاسكافي الخراساني[1]

(*) « ذكره أبو الحسين الصابي في كتاب الوزراء ، وقال » : مولده باسكاف[2] في جمادى الأولى سنة خمس وأربعين وثلاثمائة . وكان في أول أمره يكتب لأبي موسى خواجه بن سيا هجيل[3] ، وخدم الملك بهاء الدولة في ابتداء أمره ، وتقلبت به أمور ، ونظر في بغداد، وضمن اليهود . وكان يلقب بالموفق . ولقب عمدة الملك مضافاً اليه . واعتقل في بعض القلاع . وقتل في شوال سنة أربع وتسعين وثلثمائة »[4] .

* * *

أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي الكاتب[5]

(*) « قرأت في كتاب الوزراء لهلال بن المحسن الكاتب ، قال[6] » : « الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي ، كان ظريفاً لطيفاً أديباً ، ظاهر المروءة ، كثير التجمل ، له ترسّل وشعر مطبوع . فمن شعره :

أروع حين يأتيني رسول	وأكمد حين لا يأتي رسول
أؤملكم وقد أيقنت أني	الى تكذيب آمالي أؤول

---

(١) وزر لبهاء الدولة البويهي . وكان شهماً في الحروب منصوراً فيها . قتله بهاء الدولة سنة ٣٩٤ ﻫ (١٠٠٤م) . طالع ترجمته وأخباره في : تاريخ هلال الصابىء (أنظر : الفهرس) ، والمنتظم (٧ : ٢٢٨) ، والبداية والنهاية (١١ : ٣٣٤) ، والنجوم الزاهرة (٤ : ٢١١) .

(٢) في كتب البلدان ، اسكافان : عليا وسفلى ، وهما من نواحي النهروان ، وقد خربتا منذ أيام السلاجقة . ولا نعلم الى أيهما نسب .

(٣) كذا ما في معجم الألقاب . وفي تاريخ هلال الصابىء (ص٣٨٣ ـ ٣٨٥ ، ٣٩٢ ، ٤٠٤ ـ ٤١٣) : « سياهجك » . وكان أبو موسى هذا ، والياً على مدينة « فسا » في حدود سنة ٣٩٠ﻫ ، ثم تقلد أعمال كرمان ، والحرب كذلك .

(٤) معجم الألقاب لابن الفوطي (ص ١٣٤ ، نسخة الدكتور مصطفى جواد) .

(٥) مضت ترجمته وأخباره في الصفحات (٢٦ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٤) .

(٦) (*) نقله الدكتور مصطفى جواد عن تاريخ ابن النجار .

قال : وكان قد أنفذ الى أبي الحسن علي بن هارون يدعوه ، فتوارى عن رسله ، وكتب أبو أحمد اليه :

تأخرت عمن أنت غاية همه   وأقوى دواعي أنسه وسروره
وأخفيت عن رسلي مكانك جاهداً   وكيف يطيق البدر إخفاء نوره (١)

* * *

عميد الأمة أبو الفضل عبد الرحمن بن الحسين الفارسي الوزير

(*) « ذكره الرئيس أبو الحسين ابن الصابيء ، وقال » : « ناب في الوزارة ، وخلع عليه الخلع الكاملة . وكان عميد الأمة كاتباً حسن التصرف في الكلام ، وله رسائل باللغتين . ولم تطل أيامه » (٢).

* * *

فخر الملك (٣)

« وقال هلال ابن الصابيء [في كتاب الوزراء] » : « دخل أبو الحسن البتّي دار فخر الملك ، فوجد ابن البواب (٤) هذا جالساً على عتبة الباب ينتظر خروج فخر الملك . فقال له : جلوس الأستاذ في العَتَب رعاية للنسب (٥) . فغضب ابن البواب ، وقال : لو كان لي الأمر ما مكنت مثلك من الدخول ، فقال البتي : حتى لا يترك الشيخ صنعته » (٦).

* * *

---

(١) (*) ثم نقل - ابن النجار - من تاريخ ثابت بن سنان انه توفي يوم الخميس لسبع بقين من المحرم سنة ٣٥٨ هـ ، بشيراز .

(٢) (*) معجم الألقاب (ص ١٤٢) .

(٣) راجع (ص ٥٩ - ٦٠) .

(٤) هو أبو الحسن علي بن هلال المعروف بابن البواب ، صاحب الخط المنسوب الفائق . توفي سنة ٤١٣ هـ .

(٥) يعرض بأن أباه كان بواباً لبني بويه .

(٦) النجوم الزاهرة (٤ : ٢٥٧ - ٢٥٨) . ووردت الرواية في المنتظم (٨ : ١٠) دون الاشارة الى هلال الصابي .

(*) «ولي الوزارة ببغداد في أيام القادر بالله» .. وذكره الصابىء في كتاب الوزراء، وقال» : «لما استقر مع القادر بالله أن يجلس ويخلع على سلطان الدولة ويلقبه، أنفذ فخر الملك الى دار الخلافة فرشاً جليلة وستوراً حسنة ليزيّن بها الدار والمجلس مع عدم هذه الآلات هناك، فان الديلم لما دخلوا للقبض على الطائع، نهب الديلم ما امتدت أيديهم إليه. وله أخبار حسنة لم تذكر لأحد من وزراء الديلم. وكان مولده بواسط في يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وثلثمائة»[1].

* * *

الصفحة	السطر	الحاشية
٤	٥-٦	تصبح العبارة هكذا : «نحو من ثمانية وثلاثين خبراً، ترجع إلى أربعة عشر وزيراً».
٥	١	(*) «الصابئة الحرانية»، والمشهور «الحرنانية».
٦		(*) قصة إسلام هلال وانه نقلها سبط ابن الجوزي من تاريخ غرس النعمة محمد بن هلال، وكنت أستصح ذلك، إلا ان ظهور المنتظم لابن الجوزي مطبوعاً ينفي ذلك ويبطله، فالقصة منقولة عن ابن نبهان سبط هلال.
٢٢-٢٣	١٨ وما يليه	«... وشاهد ذلك ما ذكره كل من (ابن الفوطي)، و (الذهبي). قال الأول في ترجمة فخر الملك : «... وذكره الصابىء في كتاب الوزراء، وقال : ...، وله أخبار حسنة لم تذكر لأحد من وزراء الديلم ...»[2].

(١) (*) معجم الألقاب (ص ٢٦٥).

(٢) معجم الألقاب (ص ٢٦).

الصفحة	السطر	الحاشية
		وقول الثاني : « قُتل [فخر الملك] مظلوماً ... » .
٢٣	١٠-١١	(*) « ولعله - تعنون هلالاً - ختمهم بالوزير عميد الدولة محمد بن محمد بن جهير الذي وُزر للقائم بأمر الله ... » . وفي هذا القول كلمتان ، أولاهما ان وزير القائم من بني جهير هو فخر الدولة محمد ابن جهير ، وانما عميد الدولة ابنه . والثانية ان هلالاً لم يدرك وزارة فخر الدولة ابن جهير للقائم ، وانما أدرك وزارة أبي القاسم علي بن المسلمة الملقب برئيس الرؤساء ، وهو آخر وزير أدركه من وزراء بني العباس ، ولعلّ الوزير أبا منصور بهرام بن مافنه آخر وزراء بني بويه الذين أدركهم هلال بل أرّخهم كما يفهم من مقدمة كتابه من دعائه له بحراسة المدة ومواصلة العادة . وقد تكرر ذلك في (ص ٢٦) بقولكم في خلافة القائم : « فاستوزر طائفة من الرجال كان أولهم عميد الدولة أبو نصر محمد بن محمد بن جهير الذي أشرنا اليه في صدر كلامنا ... » .
٢٥	٩٧	(*) « أبو الفرج أحمد بن محمد السامِرّي[1] » بكسر الميم . والكسرة من غلط الطبع . والصواب فتحها .
٢٧	٥-٨	(*) يُضاف اليها : « وعمدة الملك الحسن بن محمد بن اسماعيل الاسكافي الخراساني ، وأبي أحمد الفضل

(١) أنظر أخباره في « الفخري » (ص ٣٣٥ - ٣٣٦) .

الصفحة	السطر	الحاشية	
			بن عبدالرحمن الشيرازي، وعميد الأمة أبي الفضل عبدالرحمن بن الحسين الفارسي الوزير ».
٣٠	٢١		(*) « سايساً متهيباً » والمعروف « مَهيباً » وإنْ جاز فتح الياء من المتهيَّب .
٣٢	٧		(*) « بعد الغفل فرميت بي من حالق »، والصواب « بعد الغنى ... » .
٣٢	١٦	٢	« في وفيات الأعيان (١ : ٥٠ _ ٥٩) ورد عجزا البيتين هكذا : فأهنتني وقذفتني من حالق انزلت آمالي بغير الخالق
٣٢	١٨	٢	يُضاف الى « ... وقال ابن خلكان : انهما لا يوجـدان في ديوانه » ، « فأحببتُ ذكرها لغرابتها » .
٣٢	٧_٨		(ح) رويتم البيتين المشهورين : أبمين مفتقر اليك رأيتني بعد الغفل (؟) فرميت بي من حالق والعجز على غموضه لا يستقيم على هذه الرواية ، والمعروف فيه : فقذفتني ورميت بي من حالق والبيت الثاني أصح ما قيل فيه : انزلت آمالي بغـير الخالق
٣٣	١٣		(*) « داري الشاطئـة [1] بالزاهر » والصحيح « الشاطئية » ولا وجه للشاطئة . وورد ذلك في (ص ٧٣) [2] أيضاً ، (س ١٠) .

(١) و(٢) كذا ما في « معجم الأدباء » و« ذيل تجارب الأمم » . والصحيح ما في أعلاه .

الصفحة	السطر	الحاشية	
٣٩	٢٠	٤	تصبح الحاشية هكذا : «يعني بالتأويلات هاهنا ، ان الوزير المهلّبي أخذ أموالاً طائلة من جماعة من الناس بطرق وأساليب شتى ، أكثرها غير مشروعة . قيل في هذا الشأن : « ... وكان العمل كله أخذ الأموال من المصادرات والتسلّق على التجار بالتأويلات » : (تاريخ هلال الصابي، ص ٤٣٩) . وأنظر كذلك تجارب الأمم (٢ : ٤٠٧) .
٤١	٩	٣	(*) « المماليك الشامية » ، والصواب « الممالك الشامية » ولعله من غلط الطبع [١] .
٤٣	الأخير	٣	الصواب « قُبض على أبي أحمد الفضل » .
٤٦	١٦		(*) « في حرم المهلّبي » والصحيح « في حر أمّ المهلّبي » .
٤٧	٨-٩		(ح) « ... فاستسرف ذلك فعله استسرافا بلغه ... » ، والصواب « فاستسرف ذلك من فعله ... » .
٤٨	٢		(ح) « وأنشد القصيدة حتى انتزع منها ... » ، والصواب « ... التي انتزع ... » .
٤٩	١٢-١٣		(ح) « ... يأكل خبزاً ببصل ولبن وقد أمعن منه » ، والصواب « ... أمعن فيه ... » .

---

(١) في صبح الأعشى (٦ : ١٩١) « المماليك الشامية » وهو تحريف ، والصواب « الممالك الشامية » كما في أعلاه .

الصفحة	السطر	الحاشية	
٥٣	٥		(ح) « فكانت عُقلة بالذيل الطويل ... » ، والصواب « .. عقلته ... »
٥٥	٧		(ح) « كالحصي » ، والصواب « كالحُصَى » .
٥٦		٢	يضاف : « وقد أطلعنا صديقنا الأستاذ حسين علي محفوظ ، على نسخة خطية حسنة من « رسائل الصابىء » ، في ٤٣٢ صفحة ، تحوي ١٧٠ رسالة ، كثير منها لا وجود له في النسخة المطبوعة .
٥٧	٣		(*) « البارودي » والصواب « البارِرديّ [1] » .
٦١	٦	١	يضاف : وفي (تجارب السلف) لهندوشاه النخجواني (ص ٢٤١ ـ ٢٤٢ ، باعتناء عباس اقبال ، طهران) ، ترجمة وافية للمطهر بن عبدالله » .
٦٤	١		(ح) « سحائباً لك ترة » ، والصواب « ... ثرَة » .
٦٤	٤		(ح) « لغزت بخصلها » ، والصواب « لفزت » من الفوز ، بالفاء .
٦٤		٢	يضاف « ... ، وابن الجوزي (المنتظم ٧ : ١١٦) ، وقالوا : انه أهدى ... » .
		٣	يضاف « ... ، وفي المنتظم : « بنو الأملاك » .
		٥	يضاف « ... ، والمنتظم : « ... » .
		٨	يضاف « ... ، ... ، والمنتظم : « ... » .
		٩	يضاف « ... : « ... » ، والمنتظم : « تدانيه » .
		١٠	يضاف « ... ، والمنتظم : « ... » .

(١) في معجم الأدباء (١ : ٦٩) « البارودي » وهو تصحيف . والصواب « البارردي » كما في أعلاه . وهو القاضي أبو العباس أحمد بن محمد البارردي . وورد ذكره في تاريخ هلال الصابيء (ص ٤٧٤ ، ٤٧٨) .

الصفحة	السطر	الحاشية	
٦٦	١١	٢	يضاف « وقد خصّه هندوشاه النخجواني بترجمة في تجارب السلف (ص ٢٤٧) .
٧٥	١٨		(*) « زائل العقل مسبوباً » والصحيح « مسبوتاً » أي حائراً مغمى عليه .
٨٤			(٥) في تجارب السلف (ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧) ترجمة حسنة لأبي عبدالله الحسين بن أحمد بن سعدان .
٨٥	٢		يضاف « أبو دلف » الى اسم « لشكرستان بن ذكي » .
٨٥		٢	يضاف « طالع أخبار « لشكرستان » في تاريخ هلال الصابىء (ص ٣٨٦، ٣٩١، ٣٩٨، ٤٤٠) ، و ... » .
١٠٦	٧		يضاف : « استدراكات وتصحيحات » :
١٠٨			الموفق عمدة الملك الحسن بن محمد بن اسماعيل الاسكافي الخراساني .
١٠٨ـ١٠٩			أبو أحمد الفضل بن عبدالرحمن بن جعفر الشيرازي الكاتب .
١٠٩			عميد الأمة أبو الفضل عبدالرحمن بن الحسين الفارسي الوزير .
١٠٩ـ١١٠			فخر الملك .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

SOME LOST

FRAGMENTS

OF

KITAB AL-WUZARA'

OF

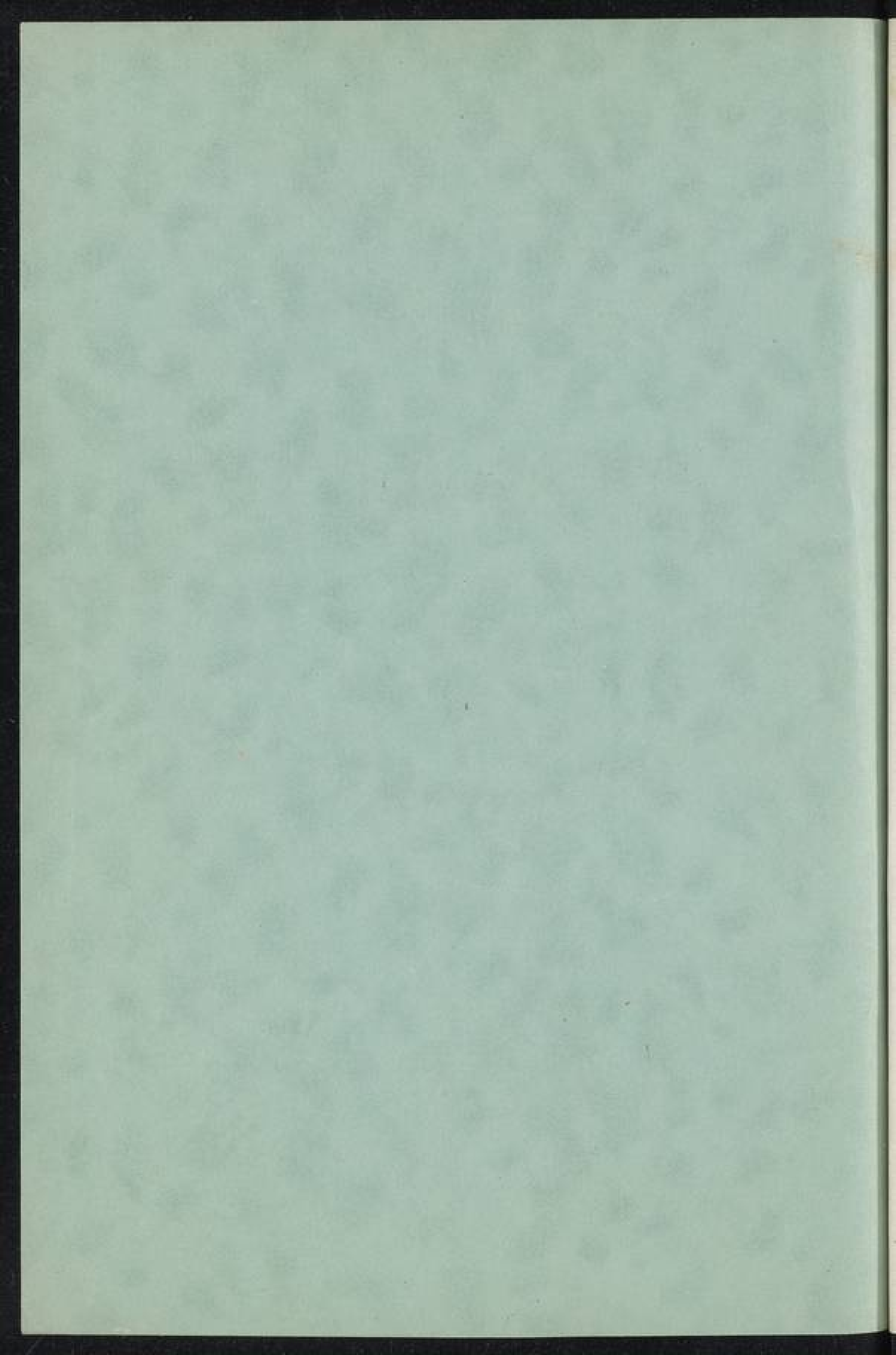
Hilâl al-Sâbi'

Collected and Edited

By

Michael Awad

Al-Maarif Printing Press
Baghdad
1948



SOME LOST

FRAGMENTS

OF

KITAB AL-WUZÂRA‘

OF

Hilâl al-Sâbi‘

Collected and Edited

By

Michael Awad

Al-Maarif Printing Press
BAGHDAD
1948

